الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة العربي التبسي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

جماليات اللغة وأبعاد الرؤية في عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص: تحليل الخطاب

إعداد الطالبتين:

- أمال جلالي
- سامية ربيعي

إشراف الدكتور:

د. محمد عروس

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
لويزة جبابلية	أستاذ مساعد (أ)	جامعة العربي التبسي	رئيسا
محمد عروس	أستاذ محاضر (ب)	جامعة العربي التبسي	مشرفا و مقررا
عبد الخالق بوراس	أستاذمساعد (ب)	جامعة العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ
بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)

آل عمران الآية 169 * 171

شكر وعرفان

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي وفقنا في إنجاز هذه الرسالة ، ننحني لله مخافة عقابه وتضرعا ا لرضائه وحبا في ذاته فالحمد لله والشكر لله جل جلاله والصلاة والسلام على المصطفى نور الإسلام .

نتقدم بخالص الشكر الامتنان إلى أستاذنا الدكتور "محمد عروس" الذي شرفنا بتأطيره على هذه الرسالة ،والذي منحنا من وقته وخبرته الكثير ،فهو مثال الاتزان ،فكان فعله منهجا وعمله صانع نجاحنا كل الاحترام والتقدير ،وشكرا مرة أخرى أستاذنا الكريم أطال الله بقاؤك ،وأدامك في خدمة العلم والمعرفة .

ونتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان للجنة المناقشة لدورهم الكبير في اثراء الدراسة والإستفادة

كما نتوجه بشكرنا إلى جميع الأساتذة الكرام بالجامعة على تقديم التوجيهات والنصح دون أن ننسى موظفي مكتبة الآداب واللغات،وموظفي مكتبة مالك بن نبي ،و مكتبة العربي التبسي ، وكل من كان عونا لنا من قريب أو بعيد .

كما نتقدم ببالغ الاحترام والشكر لموظفي مكتبة جامعة الأمير عبد القادر ،والمكتبة الرئيسية بجامعة الإخوة منتوري قسنطينة على حسن المعاملة وتقديم المساعدة .

وأخيرا ندعو الله العظيم ان نكون قد وفقنا في تحقيق الهدف المنشود من هذه الدراسة

مقدمة

مقدمة

يمثل فن المقال إحدى الفنون النثرية التي اعتمد عليها في التعبير عن قضايا المجتمع في شتى المجالات، تميز بمعالجة الموضوعات العامة والآنية بقدر من الشمولية والعمق، هادفا إلى تقديم رؤية فكرية لهذه الأحداث ،والظواهر، والتطورات، فكان له الدور الرائد في تغيير الأوضاع بنشر الأفكار والإيديولوجيات المختلفة، حيث حاول إيقاظ وعي الشعوب المقهورة ،وأسهم في التواصل الثقافي بين الأمم.

كان العالم العربي يعاني من وطأة الاحتلال الأوروبي، فبرز مفكرون إصلاحيون بمختلف التوجهات فحاولوا كل حسب منطلقاته وأهدافه بالإسهام في تحرير العقول قبل الأوطان، ولما كانت الجزائر جزءا من هذا العالم، عانت هي كذلك من ويلات الاحتلال الفرنسي الغاشم الذي ضربها في صميم هويتها، هذا ما جعل زعمائها وكتابها يعالجون قضاياها آنذاك.

إنّ من يعرف رجال الجزائر العظماء لن يغفل عن معرفة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إمام اللغة العربية وأمير البيان، الذي عاش أغلب حياته في ظل الاحتلال الفرنسي، الذي أحكم سيطرته على الجزائر منذ سنة 1830م، ولم يغادرها إلا سنة 1962م، بعد ثورة مسلحة دامية، انتهج خلالها سياسة تستهدف الهيمنة على العقول والأبدان واللسان، ونشر الأمية، وحارب الدين، وشجع الطرقية، فأفنى البشير الإبراهيمي عمره في مقاومة الظلم فأنار دروب الضالين ،وكافح هذا الاحتلال بسلاح اللغة والفكر الإصلاحي.

كتب الإبراهيمي في هذا الشأن عدّة مؤلفات اهتمت بمعالجة قضايا الوطن منها: كتابه "عيون البصائر" الذي عدّ عملا فنيا متكاملا أوتي الفصاحة في الألفاظ، والبلاغة في المعاني ما لا مثيل له في العبقرية العربية الحديثة، والتي اخترناها موضوعا لدراستنا، فكان عنوانها موسوما بـ: «جماليات اللّغة وأبعاد الرؤية في عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي»، وما دفعنا لاختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب وهي:

الأسباب الذاتية:

- لم يكن اختيارنا لكتاب عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي عشوائيا إنّما يعود إلى قناعة شخصية حيث أردنا تسليط الضوء على فن المقال.

- إعجابنا الكبير بالشيخ الإبراهيمي الذي يعدّ من أبرز رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر والعالم العربي، والذي قدّم حياته من أجل المحافظة على الهوية ضد سياسة الاستعمار الغاشمة.
- أردنا التعرف على قيمة الكتاب بوصفه إبداعا فنيا تداخلت فيه السياسة والدين والقومية ،كونه جملة من الخطابات التي تحمل فكرا إسلاميا.
- دراسة الأدب الجزائري بالذات وذلك بدافع الحب والغيرة والمسؤولية تجاه هذا الوطن الغالي.

الأسباب الموضوعية

- كونه يحمل في طياته هدفا ورسالة يريد الكاتب إيصالها وتبليغها بعرض منطقي وحجة
- التعرف على حقيقة هذا الأديب المصلح ومعرفة خصائص نثره الفني.

ولا ريب أن الهدف الرئيسي من إقامة هذا البحث هو التوصل إلى معرفة أهم المرتكزات التي بنى عليها المقال وبالتحديد عند البشير الإبراهيمي وكيفية توظيفه للغة في كتابه «عيون البصائر» وهو مجموعة مقالات كتبها الإبراهيمي في جريدة البصائر دفاعا عن اللغة العربية في القطر الجزائري.

كما أردنا أيضا التعرف على هذه الشخصية العظيمة المتميزة بثقافة عصرية عالية ،والتي كانت تدعو إلى الارتقاء باللغة نحو الأفضل. ولقد رأينا أن عيون البصائر هو المناسب لممارسة وتطبيق اللغة وجمالياتها والرؤى المختلفة التي وظفت فيه.

تعمل دراستنا على مناقشة إشكالية تتمثل في:

ما هي العلاقة بين اللّغة والرؤية في الكتابة المقالية عند محمد البشير الإبراهيمي؟

ومنه تتفرع أسئلة نذكر منها:

كيف تم توظيف الجماليات الفنية للغة لتحقيق الرؤية النهضوية عند البشير الإبراهيمي من خلال مقالاته عيون البصائر؟.

ما هي أهم السمات الفنية التي تميز أسلوب البشير الإبراهيمي؟ كيف وظف الإبراهيمي المفردات والتراكيب في عيون البصائر لإثراء تشكيله اللغوي؟ ماذا نقصد بمصطلح الرؤية؟ وكيف تجسدت؟ وكيف أجاد البشير الإبراهيمي لمصطلح الرؤية من خلال مقالاته؟

تنضوي تحت الرؤية النهضوية عدة رؤى مختلفة تم توظيفها بعناية في هذه المقالات فما هي هذه الأخيرة؟

ومن الدراسات التي سبق وأن تطرقت إلى دراسة نثر الإبراهيمي نذكر: "فلسطين في أدب الإبراهيمي دراسة تحليلية"، لسعيد بوبقار حيث التزم الباحث هنا بقضية فلسطين بالتحديد ولم يعتني بباقي القضايا المطروحة في عيون البصائر، فأردنا فتح نافذة البحث حول القضايا الموجودة العربية والإسلامية.

وفي دراسة "الجملة الطلبية في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي "،ليمينة قرفي حيث تم التركيز على الجانب النحوي، فأردنا في دراستنا الاهتمام بالجانب اللغوي من دراسة للتراكيب والألفاظ والبلاغة.

أما فيما يخص المنهج المتبع فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي مع التحليل والتركيب لأنه الأنسب في نظرنا لهذه الدراسة.

و للإجابة عن هذه التساؤلات المختلفة بدأنا بحثنا بمقدمة تناولنا فيها التعريف بالموضوع وأهميته وسبب اختياره والإشكاليات التي نود الإجابة عنها، ثم قسمنا البحث إلى مدخل وفصلين.

"**مدخل**" تحت عنوان "**فن المقال عند البشير الإبراهيمي**" تعرضنا فيه إلى تعريف فن المقال ونشأته وأهم السمات الفنية المميزة لهذا الفن، والعناصر التي يقوم عليها، والتعريف بالشيخ الإبراهيمي وبالمدونة «عيون البصائر».

أما **الفصل الأول** المعنون «**جماليات اللغة في عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي**» حيث تم فيه التطرق إلى بناء الألفاظ في عيون البصائر، وبناء التراكيب كما سلطنا الضوء على البلاغة من صور بيانية ومحسنات بديعية.

أما **الفصل الثاني** فكان بعنوان «**أبعاد الرؤية في عيون البصائر**» ،حددنا فيه مفهوم الرؤية ، واستخرجنا مختلف الرؤى التي تشكلت في عيون البصائر وهي الرؤية الاجتماعية، والرؤية السياسية، والرؤية الثقافية، والرؤية الدينية.

وختمنا العمل بعرض لأهم النتائج المتوصل إليها للإجابة على مختلف التساؤلات.

كما اعتمدنا على جملة من المراجع نراها ثرية بالمادة المطلوبة و أهمها :

- فنون النثر الأدبي في الجزائر لعبد الملك مرتاض.
- أدبية الخطاب النثري عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لحسين بوحسون.
- بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي،لأحمدبوقارورة.
- تطور النثر الجزائري الحديث،لعبد الله الركيبي.

- النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، لعبد الملك بومنجل.

أمّا بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا فهي:

- قلة المراجع في المكتبة.
- صعوبة الحصول على بعض الكتب الهامة بالنسبة للموضوع.
- ثراء كتاب عيون البصائر، فإنّنا وإن درسناه لن نستطيع أن نحيط بجميع جوانبه نظرا لسعة هذا الكتاب ولكمّه الهائل.

وفي ختام كلّ هذا لا يفوتنا أن نرفع إلى أستاذنا المشرف على بحثنا هذا بآيات العرفان والتقدير والامتنان الدكتور "محمد عروس"، الذي ساعدنا بنصائحه الثمينة وتوجيهاته القيمة حتى اكتملت الرسالة واستقام عودها، ولا يسعنا بعد هذا سوى أن يلقى هذا البحث الذي هو ثمرة جهد عام كامل درجة من التقدير ،كما نعتذر عن أي نقص وارد في هذه الرسالة، فسبحان الذي لا يخطأ ولا يسهو. وكّل توفيق من الله وحده.

مدخل

فن المقال عند البشير الإبراهيمي

تعدّدت فنون النثر الأدبي من خطابة، وقصة، ورواية، ومسرحيّة، وخاطّرة، ويعدّ المقال الأدبي من الفنون النثرية الجديدة الوافدة إلى الأدب الحديث، سنعرض لبعض التعريفات اللّغوية لفن المقال كالآتي:

أوّلا: مفهوم المقال:

1- الدلالة اللّغوية للمقال:

اشتقت كلمة (مقال): «من الفعل الثلاثي المعتل الوسط (قَوَلَ) الذي تقلب واوه ألفاً أي (قَالَ)، وقد وردت في القرآن الكريم بصيغة الفعل (قَالَ)، كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾سورة مريم الآية -3-

وبصيغة المصدر (قَوْلٌ)، كقوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ ﴾سورة فصلت الآية -32-[1]

ورد في القاموس المحيط: « القَولُ، الكلام أو كلّ لفظ مدل به اللّسان تاما أو ناقصاً، جمعه أقوال، وجمع الجمع أقاويل، أو القول مصدر، والقِيلُ والقَالُ اسمان له، أو قَالَ وقِيلاً وقولة ومقالاً (فيهما) فهو قَائِلٌ ».[2]

وفي لسان العرب لابن منظور يقول: « قول: القَوْلُ: الكلام على الترتيب، وهو كلّ لفظ قال به اللّسان، تاماً كان أو ناقصاً، تقول: قال، يقول، قولاً، والفاعل: قائل، والمفعول: مَقُولُ، ويعني بالقَوْل: الألفاظ المفردة التي يبنى الكلام منها، وامرأة قوّالة: كثيرة القول، ومنه: القالُ،والقيلُ، وقوْلاً، وقَوْلَةً، ومقالاً، ومقالة، والجمع أقْوَال، وأقيالٌ، وقد انشد ابن برّي للحطيئة يخاطب عمر رضي الله عنه:

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ المليكُ * فَإِنَ لَكُلّ مَقَامٍ مَقَال. ».[3]

---

[1] – لويس معلوف: المنجد في اللّغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط19، 1966م، ص663.

[2] – الفيروز آبادي: مجد الدين بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1، 1925هـ، 2004م، ص1063.

[3] – ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، م5، ج39، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د،ط)، ص3778.

أمّا صبحي حموي فيعرّف المقال في المنجد فيقول: « قَولَ، قَال، قَالَة، قَوَال، قَولَة، مَقُول، مَقَال: كتابة أو بحث قصير في موضوع ما ».[1]

نستنتج من هذا أن دلالة المقال في اللّغة تشترك جميعها في الفعل قَوَلَ: « قَوَلَ، قَالَ، يَقُولُ، قَولاً، وقالاً، وقِيلاً، ومقالاً ومَقَالة، فهي كلّ بحث موجز حول موضوع ما في مختلف المجالات السياسية، الثقافية، الدينية، الاجتماعية... الخ.

2- الدلالة الاصطلاحية للمقال:

تباين مفهوم المقال بين النقاد، ونظّرا لتشعبّه وتداخله بنسب متفاوتة شكلاً ومضمونا مع الفنون النثرية الأخرى، كالخطابة، والمقامة، والرّسالة، والخاطرة، والقصة، مع انفراده واستقلاليته بخصائصه المميّزة، ومن أجل إعطاء مقاربة تلّم بفن المقال، نستعرض بعضا من التعريفات حسب زوايا النظر المختلفة.

يعرّف جونسون (Samuel Johnson) المقال بأنه:«نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، هي قطعة لا تجري على نسق معلوم، ولم يتم هضمهافي نفس كاتبها».[2]فهذا التعريف لا يصدق عليه المقال اليوم حيث يعتمد كتابّها الآن على إحكام نسجها وإتقان تأليفها.

يقول موريmori في قاموسه معرّفا المقال بأنّه:«قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معيّن أو حول جزء منه».[3]أي أنّ المقال من أكثر الفنون الأدبية استيعابا وشمولا لشتى الموضوعات على اختلاف مجالاته السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والعلميّة، والرياضية، والاقتصادية وغيرها، وهذا كلّه يكون في عمل منظّم يتطلب مزيداً من أحكام الصنعة، وضبط التصميم.

وفي هذا السياق يعرف ادموند جوس (Edmound Gosse) المقال بأنه: « قطعة إنشائية ذات طول معتدل تكتب نثرا، وتلم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة سريعة، وتعنى إلا بالناحية التي تمس الكاتب عن قرب »[4] والمقصود بالطريقة السهلة والسريعة أن دور كاتب المقال لا يعدو عن تسجيل تأملات أو تعبير عن تصورات، أو توظيف لمشاهدات فهي بذلك تختلف عن

---

[1] – صبحي حموي: المنجد في اللّغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص1196.

[2] – محمد يوسف نجم: فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط4، 1966، ص93، 94.

[3] – المرجع نفسه، ص94.

[4]- المرجع نفسه،ص94.

المعالجة المتأنية التي تجمع فيها الحقائق وتصنف بالاعتماد على تقنيات البحث العلمي، والمقصود بالناحية التي تمس الكاتب تعبير المقال عن ذات الكاتب أكثر من تعبيره عن موضوعه الذي يتضمنه، لأنّ الكاتب يرى الأشياء من خلال ذاته التي لا تخلو من مشاعر وانفعالات.

والمقال من حيث مضمونه وتسلسله المنطقي يحتوي على ما يريد الكاتب إيصاله للمتلقي من معلومات وأفكار معتمدا خطة ما. فهو :« فكرة قبل كل شيء وموضوع، فكرة واعية وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها وترتب بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة وغاية مرسومة من أول الأمر»[1]، فللكاتب رسالة يريد عرضها للقارئ قصد إقناعه بفكرته التي يؤمن بها، ويستعمل من أجل ذلك أدلة وبراهين شتى.

يعرّف زكي نجيب محمود المقال بقوله: « ملاذ الأديب الذي ليس له من دونها ملاذ... يصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع».[2]معنى هذا أن المقال فن يعبر فيه الأديب عن ذاته معالجا في الوقت نفسه قضايا تخص المجتمع.

ويعرّفه محمد مصطفى هدارة بقوله: « فكرة محددة تتناول موضوعا بالبحث يجمع الكاتب عناصره ويرتبها ويُستدل عليها بحيث يؤدي إلى نتيجة معينة»[3]،نفهم من هذا أن المقال يحمل أفكار حول موضوع ما يجمعه الكاتب في عناصر ويرتبها للوصول في الأخير إلى نتيجة ما معتمدا على مجموعة من الأدلة.

لقد حاول محمد يوسف نجم إعطاء تعريف جامع عن مفهوم المقال فاعتبره: « قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق وشرطها الأول أن تكون تعريفا صادقا عن شخصية الكاتب »[4].إن صدق الكاتب في التعبير هو معيار يتحكم في مصداقية المقال.

نستنتج مما سبق أن تعدد المفاهيم لفن المقال سواء عند النقاد العرب أو عند الغربيين، يسهم بشكل كبير في إثراء هذا الفن النثري الذي يُجمع هؤلاء دوره الرائد في إيقاظ وعي الجماهير في شتى

---

[1] – سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط8، 2003، ص106.

[2] – عمر بن قينة: الأدب العربي الحديث، دار إبداع نايف، جدّة، ط1، 1425هـ، 2004م، ص215.

[3] – محمد مصطفى أبو شوارب: المدخل إلى فنون النثر الأدبي الحديث ومهاراته التعبيرية، دار الوفاء، إسكندرية، مصر،ط1، 2007، ص21.

[4] – محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص95.

المجالات، وتثقيفهم، ومن ثم التأثير فيهم، من حيث قطعة نثرية محدودة الطول تعالج موضوعا عاماً، بطريقة سهلة وسريعة وتلم بالجوانب الخاصة به.

ثانيا: نشأة وتطور فن المقال:

يختلف النقاد والمؤرخون حول الجذور التاريخية لفن المقال، فمنهم من يوغر في التاريخ فيعزوها إلى الإنسان القديم، ومنهم من يردها إلى عصر النهضة الأوروبية، أما بعض النقاد العرب فيعتبرونها امتدادا لفن الرسائل، الذي ظهر في العصر الجاهلي، وسنعرض لهذه المراحل كالآتي:

1- من العصر القديم إلى العصور الوسطى:

ظهرت بذور "الأدب المقالي" في الآداب القديمة قبل القرن السادس عشر، « وذلك لأن المقال كبقية أنواع الفنون الأدبية، تقوم على ملاحظة الحياة، وتدبر ظواهرها وكان المقال آنذاك يأتي في صوره التعبيرية البدائية وهي الصور التي نجدها في أمثال الأمم وجوامع كلمها، وما دام "المثال" تعبيرا عن إحساس بواقع فهو من هذه الزاوية قريب من المقال، والمقال بهذا يعد تطويرا لهذه الصور البدائية الفطرية التي هي المثل »[1].

إلا أن هذا لا يرتقي إلى قيمة أدبية، حتى نطلق عليه " فن المقال"، لأن أكثر ما يعبر عنه ذلك الإنسان هو تأملاته وخواطره بطريقة ساذجة.

وبظهور الكتابة ارتبط المقال القديم في الثقافات الشرقية القديمة، الهندية، والصينية، بموضوعات الدين والفلسفة « ففي الأدب الصيني القديم نجدها جلية في الأقوال المأثورة التي تنسب ل:كنفوشيوس حوالي (500 قبل الميلاد) وكذلك في آثار تسي زي في ذلك العهد، ثم في كتابات منشيوس حوالي (300 قبل الميلاد)»[2]

كما أسهم الأدب اللاتيني ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الرابع بعده، « في انتعاش المقال، فتوسعت موضوعاته إلى تأملية، ونقدية، ووصفية، ونبغ فيها هوراس (Horase) ».[3]

---

[1] – محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية، المقالة، المسرحية، القصة، السير والتراجم، الشعر الاجتماعي، الشعر السياسي، الشعر الحر، الشعر الموضوعي، دار نوميديا لنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، (د،ط)، 2007، ص89.

[2] – محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص10.

[3] – المرجع نفسه ، ص15.

2- في عصر النهضة:

ارتبط ظهور المقال في هذا العصر، بالثورة العلمية والفكرية والثقافية التي ميزته، بعد أن فك الانسان الأوربي عن نفسه الأغلال التي قيدته بها الكنيسة. « حيث تعود نشأة المقال على يد الكاتب الفرنسي مونتين حينما شاهد صورة ملك صقلية "رونيه" نفسه بالخطوط والألوان».[1]

إلا أن تأصيل المقال كفن نثري كان في انجلترا على يد « العالم الانجليزي "فرانسيس بيكون" سنة 1597م، حيث كتب مجموعة من الخواطر التوجيهية والأخلاقية، والسياسية».[2]

أما في القرن الثامن عشر« ازدهر المقال على يدي كل من أديسون (Addison)، وستيل (Steel) وسويفت (Swift)، لإقناع الرأي العام »[3] ، فالمقال في هذا القرن لم يقف عند التأملات الذاتية بل تجاوزها، كما تغير أسلوبه، « فأصبح إنشائيا جديدا واستحدثت طرقا في العرض والتحليل حيث عولجت مختلف القضايا بلغة أدبية تتسم بالبلاغة »[4]

أما في مطلع القرن التاسع عشراتسعت دائرة اهتمام المقال في شتى المجالات « فقد خطى المقال خطوات إلى الأمام، وراحت تنعتق من ذاتيته المعبرة عن ذات الشخصية إلى التعمق في الرؤى، والانخراط في التمحيص، والتدقيق، والتدبر في الموضوعات الحياتية المختلفة، وكان هذا التطور والازدهار على يد الكاتب روبرت لويس ستيفنسون. »[5]، وفي خِضَمِ هذه الظروف تأثرت البلاد العربي بأدب المقال بسبب الاحتكاك بالغرب عن طريق الاستشراف، والاستيطان، والترجمة.

في الأدب العربي حتى منتصف القرن العشرين:

يذهب الكثير من نقاد العرب إلى أن المقال قد ظهر في الأدب العربي مع بزوغ شمس الإسلام، إلا أنه لم يأخذ المنحى الذي كان بالإمكان أن يتطور به بسبب اعتماده على.

---

[1] – حسن فالح البكور، وآخرون: فن الكتابة وأشكال التعبير، دار جرير لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1431هـ، 2010م، ص93.

[2] – المرجع نفسه، ص93.

[3] – عبد العزيز شرف: أدبيات أدب المقال، مكتبةلبناناشرون،بيروت،لبنان، ط1، 1997، ص37.

[4] – محمد يوسف نجم،فن المقالة ، ص47.

[5] – حسن فالح البكور،وآخرون ،المرجع السابق، ص93.

«الصنعة الثقيلة في الأسلوب الإنشائي وفي الصور البديعية والبيانية.»[1]، ولقد عرف هذا الفن آنذاك باسم الرسالة، لأنها ترسل من شخص إلى آخر مكتوبة على قطعة ورقية أو رقعة جلدية.

وفي العهد النبوي استعملت الرسالة وسيلة للتواصل بين الرسول صلى الله عليه وسلم، وبين الملوك، وبين من عقد معهم معاهدات، « واتبع الخلفاء الراشدون هذا المنهج في إسداء تعليماتهم وتوجيهاتهم للقادة والولاة في مجالي السياسة والحرب»[2]، مما جعل استعمال الرسالة يتزايد باتساع رقعة الدولة الإسلامية جراء الفتوحات.

وكانت الرسائل الديوانية والإخوانية في العصر الأموي أحسن مثال عن هذا الفن الذي برع فيه المتكلمون العرب وكذلك الفقهاء إلى حد كبير. « وتعتبر قريبة من المقال تلك الرسالة التي وجهها عبد الحميد الكاتب إلى إخوانه الكتاب»[3] الذين بادروا بالتنظير للكتابة بل وضع قواعد لها، وقد قيل « فتحت الرسائل بعبد الحميد»[4]. واشتهر برسالته التي وجهها إلى الكتاب، حيث أوصاهم بالتفقه في الدين وحفظ كتاب الله.

وفي أوائل العصر العباسي، « ازدهر فن الرسائل وراح أصحابها يطيلونها، فتحولت إلى كتب، مثل: "الدّرة اليتيمة" و"رسالة الصحابة" لعبد الله بن المقفع، ورسالة سهل بن هارون.».[5]

وفي أوج العصر الذهبي للدولة العباسية: ازدهرت فنون الأدب لاسيّما علم الكلام والفلسفة والأدب. فأضفوا على كتاباتهم دقة الوصف، وقوة الاستدلال والسخرية، ونمقوها بمحسنات بديعية، ويعد الجاحظ « ممن أسهموا في ارتقاء هذا الفن إذ نجد ذلك واضحا في رسالة التربيع والتدوير. إذ أن لها قيمة علمية قائمة على ما ذكر الجاحظ من القضايا الفلسفية والعلمية والتاريخية، ولها قيمة فنية أدبية قائمة على التهكم والسخرية اللاذعة وذلك عن طريق المفارقات والمتناقضات والجدل والاحتجاج والحوار والتصوير الكاريكاتوري الناطق، واللباقة في الحديث».[6]

---

[1] – محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص18.

[2] – المرجع نفسه ، ص20.

[3] – أنطونيوس بطرس: الأدب، تعريفه– أنواعه– مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، (د،ط)، 2005، ص143.

[4] – شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط9، دس، ص114.

[5] – أنطونيوس بطرس،المرجع السابق ، ص143.

[6] – حنّا الفاخوري: منتخبات الأدب العربي، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط5، 1790م، ص 133–134.

وفي العصر العباسي الثالث شاع كُتاب الرسائل واشتهر بعضهم بالشعر والنّثر معا، كأبي الفضل محمد بن العميد، والصاحب بن عباد، وبديع الزمان الهمذاني، وأبي منصور الثعالبي وأبي حيان التوحيدي ، وقد مالت الرسائل إلى التكلف دون إهمال المعنى «إلا أنه يبقى للأسلوب قوته وبهاؤه وجودته لأن الصيغة لم تصل فيه إلى حد التكلف الممقوت ».[1] وكان التوحيدي ممن اتصفوا بحرية التعبير، وجزالة اللفظ.

وفي أواخر العصر العباسي، تراجعت الرسالة، وأصيبت بالضعف وتدحرجت نحو الجمود بسبب التكلف المقيت، والإمعان في التعقيد، ومن رواد الكتابة في هذه الفترة القاضي الفاضل وعماد الدين الأصفهاني والحريري الذين مالوا « إلى تنميق العبارة، والمبالغة في الإطراء والتأنق في الإنشاء... والاسترسال في تزويق العبارة بأنواع البديع والجناس».[2]وهذا ما جعل من الرسالة تنزع إلى التكلف والتصنع، وتخالف ما يقتضيه أسلوب المقال من تدفق وتلقائية.

وفي بداية العصر الحديث، ظهر المقال في العالم العربي تزامنا مع ظهور المطبعة ابتداء من القرن التاسع عشر الميلادي، « وسار بوتيرة بطيئة لأنه ورث عن الرسالة خصائصها المكبلة، فجاء الأسلوب في تلك المرحلة مليئا بالصّنعة والبديع المتكلف، كما كان موضوعها يتصل –غالبا– بالموضوعات الرسمية لشؤون الدولة وتنظيمها.»[3]

لا يكاد يختلف النقاد في الحقل الأدبي على فضل رفاعة الطهطاوي، « الذي يعد واحدا ممن أسهموا في إحداث ثورة ثقافية في العالم العربي، ومن الكتاب الأوائل الذين كان لهم دور في تأسيس الصحافة في مصر، وبعث المقالة في ثوبها الجديد بعد عودته من رحلته إلى فرنسا. ولقد مكث بها بضع سنين، وألف كتابه المشهور (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)»[4]، وصف فيه حياة الفرنسيين السياسية والاجتماعية والثقافية، وبهذا حمل معه بذور المقالة التي بدت متأثرة أيما تأثّر بالمقالة الغربية الحديثة، « وتعتبر جريدة (الوقائع المصرية) منبرا صحفيا ضم أقلاما أدبية بجانب الطهطاوي أمثال

[1] – عبد اللطيف محمد السيد الحديدي: فن المقال في ضوء النقد الأدبي، دار الإسلامية للطباعة والنشر، مصر، ط3، 2003، ص117.

[2] – جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج3، دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، 1983،ص43.

[3] – عبد اللطيف محمد السيد الحديدي،المرجع السابق ، ص119.

[4] – محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص19.

حسن العطّار، وإسماعيل الخشّاب»[1] الذين حاولوا التخلص من نمط الكتابة القديمة، وفتح المجال لمرحلة جديدة اتسمت فيما بعد بخلو المقال من البديع، والبيان ،واهتمام الكتاب بقضايا المجتمع المصيرية سيّما في أواخر القرن التاسع عشر، إذ كانت الأمة قد دخلت في مرحلة الوعي السياسي، « وهكذا تحرر النثر في تلك المرحلة تحررا كبيرا من التكلف والسجع، وأصبح في الغالب سهلا مرسلا وأصبح كتابه يؤثرون بلاغة العبارة واختيار اللفظ، وسلامة التركيب، والتعبير السليم، والمعنى الواضح».[2]

ولقد تميزت هذه الفترة بإنتعاش الكتابة الأدبية وبروز كتاب وأدباء اتخذوا من مصر وجهة لهم، ومنطلقا لنشر أفكارهم في مختلف الصحف والمجلات.

وفي بدايات القرن العشرين، وبازدياد الوعيوتنوع الروافد الثقافية للأدباء والمفكرين العرب بسبب تأثرهم بالغرب، « مالت الأفكار إلى التجديد، والابتكار، والعمق والغزارة، والترتيب، والوضوح، والتحليل، والتعليل...»[3]

وقد تبلور فن المقال في صورته الناضجة النهائية في هذا القرن،«فقد ازداد الوعي بأصول المقال، ودخله التيار الوجداني الفنّي، وأصبحت تتردد بين الذاتية والموضوعية... وأصبح الكاتب يستخدم عبارة رقيقة عَذبة، أو عبارة قوية مؤثرة معا لطبيعة الموضوع الذي يتناوله».[4]

وقد ظهر بعد الحرب العالمية الأولى جيل اعتبر نفسه مجددا نابذا كل قديم، فالأدب العربي القديم عنده «كله لا يصلح لحياتنا وكذلك أسلوبه الموشى بالسجع وغير السّجع بسبب بسيط وهو الرقي العلمي الحديث».[5] وقد عارض الرفاعي بشدة هذه الفكرة ،فكان أحد الروّاد الذين تمسكوا بالقديم ودافعوا عنه، «ومع ذلك حاول أن يقف بين القديم والجديد وأن يكوّن لنفسه نهجا خاصا عرف بمذهب " الرّافعية " وغلبت عليه نزعة القديم»،[6]هذا ما أسفر عن ظهور فئة من الأدباء وقفت بين الاتجاهين، فحافظت على أسلوب القدماء، ومزجته بأسلوب المجددين لتمثل مرحلة أخرى لفن

---

[1] – محمد يوسف نجم: فن المقالة ، ص20.

[2] – عبد اللطيف محمد السيد الحديدي: فن المقال في ضوء النثر الأدبي، ص121.

[3] – المرجع نفسه، ص123.

[4] – المرجع نفسه، ص123.

[5] – شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر،دار المعارف، القاهرة، ط10، 1992، ص191.

[6] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، 1986، ص310.

المقال الذي حمل ميزات جديدة على مستوى الشكل والمضمون وهؤلاء المجدّدون،«من أمثال طه حسين وهيكل والعقاد والمازني ،كانوا يرون أن يظلوا مع الأسلوب الفصيح الرصين الجزل، حتى يكون لأدبهم موقع حسن في الأسماع والقلوب، فهم يحرصون على الأعراب وعلى الألفاظ الصحيحة التي تقرها المعاجم، وهم في داخل هذا الإطار يجددون تجديدا لا يخرج بهم عن أصول العربية، وإنما يغنيها وينميها بما يضيفونه من نماذج وفكر جديد».[1]

إن ما طرأ على الأمة من أحداث، ومستجدات وتطورات في شتى المجالات، فتح الباب على مصراعيه للكاتب لمخاطبة الناس مباشرة لتوعيتهم بقضايا وطنهم، وشؤون دينهم وأمور حياتهم.

ولقد أسهم انتشار المطابع في الوطن العربي في ذيوع المقال بين أواسط الجماهير المثقفة وبفضل الصحافة استطاع المقال أن يتبوأ مكانة لا يستهان بها في منظومة التغيير والإصلاح، وأسهم في بروز حركات التحرر من الاحتلال الأجنبي في منتصف القرن العشرين.

ثالثا: السِّمات الفنية للمقال:

تختلف السمات الفنية بين مقال وآخر، فالمقال الأدبي يختلف في سماته عن المقال العلمي، وكذلك الاجتماعي وغيره... ولكن هناك سمات ثابتة جامعة لأسلوب المقال هي:

- المقال فن نثري محدد.
- أسلوب المقال يجب أن يكون واضحا، ينأى عن التعقيد والغرابة.
- ينبغي أن يتسم عنوان المقال بالإيجاز والتكثيف، والتعبير عن الموضوع، وإثارة اهتمام القارئ.
- تعرض كذلك أفكار المقال بأسلوب منطقي كأن ينتقل من العام إلى الخاص، ومن المألوف إلى غير المألوف.
- لغة المقال: الدقة في اختيار الألفاظ الدالة على المعنى، والتركيز، والتركيب من غير تعقيد، ممّا يسهل على القارئ استخدام الألفاظ التي في مقدور الناس استيعابها بدقة تامّة، دون الخوض في ألفاظ غريبة الدلالة، بعيدة عن المألوف أو ذات بعد شاعري تخيّلي.[2]
- الجزئية لأن هدف الأديب توضيح فكرة معينة أو توضيح جانب من جوانب الحياة.[3]

[1] – شوقي ضيف:الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص192.

[2] – عاطف فضل محمد: التحرير الكتابي الوظيفي والإبداعي، دار الميسرة، عمان، ط1، 1433هـ، 2012م، ص230.

[3] – زهدي محمد عيد: فن الكتابة والتعبير، دار اليازوري العلمية، عمان، الطبعة العربية، 2009، ص184.

- الذاتية: يتمحور المقال حول رؤية الكاتب الذاتية في الموضوع الذي يتناوله ووجهة نظره من خلال التحليل والمناقشة.[1]

- يتميز أيضا بالتركيز على المعنى، و بوضوح العرض وينتهي غالبا بمحصلات بارزة ترسخ في أذهان القرّاء.[2]

- ومن سماته أن تتجنب فيه المقدمات الطويلة التي تستهلك جزءا من حجم المقال ومن قدرة الكاتب والقارئ.[3]

- القصر: المقال قطعة أدبية قصيرة لا تتجاوز بضع صفحات، فإن طالت عدت بحثا.[4]

نستنتج أن للمقال سمات فنية تميزه عن غيره من فنون الأدب، لذلك لابد على أي كاتب أن يعتمد عليها حتى يكون عمله ناجعًا ومثيرًا ومفهومًا من قبل القرّاء.

رابعا: أنواع المقال:

يقسم الباحثون المقال إلى نوعين : ذاتي وموضوعي.

1- المقال الذاتي:

يتخذ صاحبه النثر الفني وسلة للتعبير عن إحساسه بالحياة وتجربته فيها وأسلوبه الأدبي ،يزخر بالعاطفة ويحرك الانفعالات، ومن شروط هذا المقال أن يكون ممتعا في ذاته ،وأن لا يقوم على الجدل والنقاش.

أ- أقسام المقال الذاتي:

- **مقال الصورة الشخصية:**

هي ضرب من الحديث الشخصي الأليف، وتعبير فني عن تجارب الكاتب وانعكاسات المفاجأة والذكاء والفكاهة، ولا تخلوا من السخرية الناعمة أو الحادة وفقا لشخصية الكاتب، ومن كتّاب هذا النوع: المازني والعقاد وأحمد أمين... الخ

[1] - حسن فالح البكور،وآخرون،فن الكتابة وأشكال التعبير، دار جرير، عمان، ط1، 1431هـ، 2010م، ص98.

[2] - عاطف فضل محمد: التحرير الكتابي الوظيفي و الابداعي ، ص231.

[3] - المرجع نفسه، ص230.

[4] - عيد حمد الخريشة: تطور الأساليب الكتابية في العربية، دار المناهج، الأردن، ط1، 1425هـ، 2004م، ص142.

- **مقال النقد الاجتماعي:**

أساسه نقد العادات والتقاليد البالية في المجتمع، وتمثيل الصراع بين القديم والجديد في الفترات الانتقالية بين الأجيال، ومن كتاب هذا الصنف: أحمد أمين، والمازني، وطه حسين، والرافعي.[1]

- **المقال الوصفي:**

وهو الذي يصف البيئة التي يعيش فيها الكاتب ،كما تتجلى لإنسان دقيق الملاحظة عميق الإحساس، حاد البصر، يتعاطف مع الطبيعة تعاطفا قويا. ومن ذلك مقال " وحي البحر " لأحمد أمين و" جمال الطبيعة " للعقاد.

- **مقال وصف الرحلات:**

وهو الذي يصف فيه الكاتب انطباعاته عن مكان جديد رحل إليه، فيتحدث عن أهله ومناظره الطبيعية ،وحيواناته، وآثاره ،وأهم معالمه، ويعتمد على شدّة تأثر الكاتب وعمق إحساسه ودقته.[2]

- **مقال السيرة:**

يصور فيه كاتبه موقفا إنسانيا خاصا من شخصية إنسانية، فيتحدث عن انطباعاته وتأثّره بها، ويحاول أن يخطط معالمها الإنسانية تخطيطا فنيًا واضحًا، معتمدًا على التنسيق والاختيار، ومن أمثلة مقال السيرة: " قاسم أمين الفنان" لعباس محمود العقاد.

- **المقال التأملي:**

يعنى بمشكلات الكون ،والحياة، والإنسان من وجهة نظر الكاتب بعيدا عن مناهج الفلسفة وأنظمة المنطق من أشهر كتاب هذا اللون: ميخائيل نعيمة في " البيادر".[3]

---

[1] – داود غطاشة الشوابكة، محمد مصطفى الفار: دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية، دار الفكر، عمان، ط1، 1430هـ، 2009م، ص145-146.

[2] – المرجع نفسه، ص146.

[3] – المرجع نفسه ، ص147-148.

2- المقال الموضوعي:

يهدف فيه كاتبه إلى تقديم مادة معرفية أو فكرية تقديما واضحا منسقا بأسلوب واضح ولغة حسيّة لا غرابة فيها، يقوم هذا النوع على خطة علمية دقيقة بأسلوب لا لبس فيه ولا غموض.[1]

ب- أقسام المقال الموضوعي:

ميادينه واسعة يكاد يشمل كل التخصصات المعروفة في الاجتماع، والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والأدب والنقد ، ومن أقسامه:

- **المقال النقدي:**

ميادينه حقول الأدب والفن عامة، يعتمد على قدرة الكاتب على تذوق النصوص الأدبية والفنية، وهو مزدهر هذه الأيام بسبب كثرة المجلات الأدبية والثقافية، ومن كتابها: العقاد والمازني وأحمد أمين، وطه حسين، شكري عيّاد.

- **المقال الفلسفي:**

يهتم بالموضوعات الفلسفية عرضا وتفسيرا وتحليلا، ومهمة كاتبها دقيقة ،وصعبة تتطلب البحث عن أساسيات الموضوع وجوهره، وهو مطالب بأن ينظر إليها نظرة إنسانية، ويعرض المادة بكل دقة ووضوح، ومن كتاب هذا النوع: أحمد لطفي السيد، وزكي نجيب محمود.[2]

- **المقال التاريخي:**

يعتمد في الأساس على جمع الروايات والأخبار والحقائق، ثم النظر فيه وتنسيقه و تفسيره وعرضه، ويشترط في كاتبه الموضوعية والأمانة بعيدا عن الأهواء والميول والتعصب بكل أشكاله، ومن كتابه: ناجي معروف، محمد بن شريفة.

- **المقال العلمي:**

يعرض فيه صاحبه نظرية أو مشكلة علمية متخصصة عرضاً موضوعياً، كاملا، وقد تحتاج إلى الأرقام والرسومات والأشكال.

ومن كتابه:يعقوب صرّوف، احمد زكي، زهير الكرمي.

---

[1] – عاطف فضل محمد: التحرير الكتابي الوظيفي والإبداعي، دار المسيرة، عمان، ط1، 1433هـ، 2012م، ص228.

[2] – داود غطاشة الشوابكة، مصطفى محمد الفار:دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية ، ص149.

- **مقال العلوم الاجتماعية:**

يبحث في الشؤون السياسية والاقتصاد والاجتماع، ويعتمد على الإحصاء والموازنة، وعلى التحليل والتعليل واقتراح الحلول.[1]

- **المقال الديني:**

يتناول قضايا الدين ومفهوم العقيدة، ويدافع كاتبه فيه عن قيمه الدينية، ويهاجم الخصوم الذين يكيدون للدين، ويفضح العناصر الهدامة والملحدة والعلمانية التي تسيء للدين. ومن أهم كتابها: مصطفى صادق الرافعي، أحمد أمين والمنفلوطي، والعقاد.[2]

نستنتج أنه بالرغم من تقسيم النقاد للمقال إلى ذاتي وموضوعي، إلا أنّه قد يجمع الكاتب بينهما حيث تبدو فيه دقّة الكاتب ،وخيال الأديب، لأنّه يعرض المسائل العلمية في أسلوب أدبي أخاذ مما يسهّل في إيصال هذه المعلومات والمعارف سلسة سهلة الاستيعاب

خامسا: عناصر المقال:

للمقال ثلاثة عناصر أساسية هي:

1. المقدمة

تتألف من معارف مسلم بها لدى القارئ وعادة ما تكون قصيرة متصلة بالموضوع، معينة على فهمه بما تعد الأنفس له وما تثير من معارف تتصل به.

وللمقدمة شروط ينبغي على الكاتب الالتزام بها وهي:

- أن تكون موجزة قدر المستطاع.
- تتضمن ما يشير إليه موضوع المقال.
- يفضل أن تتضمن بعض وسائل الإثارة والتشويق والتنبيه، لينتبه القارئ للموضوع .
- ينبغي أن يكون أسلوبها سهلا.

[1] – حسن فالح البكور،وآخرون: فن الكتابة وأشكال التعبير، دار جرير، الأردن، ط1، 1431هـ، 2010 م، ص99-100.

[2] – ربيع محمد أحمد، الحمداني سالم أحمد: دراسات في الأدب العربي الحديث، دار الكندي للنشر والتوزيع، دط،دس، ص37.

2. العرض:

وهو صلب الموضوع وجوهره، ويشغل بطبيعة الحال مساحة أكبر من المقدمة والخاتمة، وهو يبدأ بنهاية المقدمة التي مهدت له ويأخذ الكاتب في معالجة الموضوع بعرض ما لديه من أفكار وخواطر بالطريقة التي يراها مؤثرة في قارئه ومقنعة له بشتى الوسائل من براهين وأدلة وشواهد وأمثلة أو وصف وتحليل ولديه متسع لكل هذا ويشمل مايلي:

- تفصيل جوانب الموضوع تفصيلا كاملا.
- تقديم والبراهين الأدلة على ما يحتوي من أفكار وآراء.[1]
- التسلسل المنطقي الدقيق في عرض الأفكار والجزئيات.
- وضوح الأسلوب وسهولته ضمان لوصول الفائدة إلى القارئ.
- مراعاة التلاؤم بين الأسلوب وطبيعة الموضوع.

3. الخاتمة:

تعد بمثابة الحوصلة المرجوة والنتيجة التي وصل إليها الكاتب بناءا على براهينه التي أوردها في موضوعه، ويهدف الكاتب من إيرادها إلى تجميع عناصر المقال في صورة تتميز بالتركيز ،والتثبيت في نبرة حية تبرز روح المقالة كلها ،وعندها تنتهي المقالة.

ومن شروط كتابة الخاتمة ما يلي:

- إيجازها في جمل سريعة متلاحقة.
- تركيزها على الجوانب المهمة في الموضوع.
- إبراز نتائج الموضوع فيها تحقيقا للفائدة والهدف.
- ضرورة ارتباطها بموضوع المقال فلا تكون منفصلة عنه.[2]

[1] – ماهر شعبان عبد الباري: الكتابة الوظيفية والإبداعية، المجالات، المهارات، الأنشطة، والتقويم، دار المسيرة، عمان، ط1، 2010م، 1431هـ، ص228.

[2] – المرجع نفسه، ص229.

ويمكن القول بأن الالتزام بهذه العناصر هو ليس معيار النجاح أو الفشل في المقال، فقد نقرأ مقالات ناجحة أو مثيرة دون الالتزام بهذه العناصر. وقد نجد مقالات ملتزمة بتلك العناصر ولكنها غير مؤثرة، فالمقال هو روح كاتبه ،وشخصيته ،وملامحه فيما يكتب.

سادسا – التعريف بالكاتب محمد البشير الإبراهيمي:

ولد محمد البشير بن محمد السعدي بن طالب الإبراهيمي، في 13 شوال 1306هـ، الموافق لـ: 14 جوان 1889م برأس الوادي في نواحي سطيف، في شرق الجزائر، وعام 1889م هو عام مولد الكثير من عظماء الأمّة الإسلامية في العصر الحديث، ولم تكن أسرته على جانب من الجاه والثراء، ولكنّها كانت معروفة بالعلم والأدب.[1]

بدأ الطفل البشير الإبراهيمي بحفظ القرآن الكريم وهو في سن الثالثة من عمره وذلك حسب تقاليد العائلة، ثم تعلم على يد عمّه محمد المالكي الإبراهيمي، كان يتمتع بذاكرة قوية جدًّا، وعندما بلغ الرابعة من عمره، توفي عمّه الأستاذ فاضطر الشاب الإبراهيمي إلى أخذ مكانه في تدريس تلامذته مدّة ستة سنوات.[2]

يعدّ الإبراهيمي عالم الدين الأفقه، وهو اللّغوي الذي ينام ملء جفونه عن شوارد لغة العرب، ويسهر غيره جرّاها ويختصم، وهو الأديب الذي يعرّف المعاني كيف يشاء، وهو الناقد الخبير بمعاني الكلام وعيوبه.[3]

فهو يعتبر من أشهر علماء الجزائر في الثلث الثاني من القرن العشرين، وبخاصة في ميدان الإصلاح، والخطابة، والأدب، واللّغة العربية.[4]

أخذ مبادئ العلوم من علماء سطيف، ثم ارتحل إلى الشرق حيث أتم معلوماته ،وجاور المدينة المنورة، ألقى دروسا بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتأثر بأفكار المصلحين العظيمين جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده.[5]

غادر الجزائر عام 1913م ملتحقا بوالده الذي كان قد سبقه إلى الحجاز، ثمّ غادر من الحجاز عام 1916م قاصدا دمشق.

---

[1] – محمد الطاهر فضلاء: أعلام الجزائر، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى، نشر وتوزيع مكتبة البحث، قسنطينة، دط، 1967م، ص 162.

[2] – آسيا تميم: الشخصيات الجزائرية: 100 شخصية التاريخية والفكرية، دار المسك، الجزائر، دط، 2008م، ص 69.

[3] – محمد الهادي الحسني: من وحي البصائر، تقديم: محمد صالح ناصر، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2010م، ص 51.

[4] – الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري، م1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2009م، ص 13.

[5] – محمد درّاجي: مواقف الإمام الإبراهيمي، الرّجال أعمال، ج7، عالم الأفكار، الجزائر، ط1، 2007م، ص 669.

اطلّع الشاب الإبراهيمي على كتب مكتبات المدينة المنوّرة كلّها ،والتي تتجاوز عشرة مكتبات مملوءة بكتب نادرة في علوم الدين، واللّغة، والتاريخ، وعلوم الاجتماع...، فاكتسب بذلك معرفة واسعة بشؤون العلوم ومختلف شعوبها وحضاراتها.[1]

تعرّف الإبراهيمي في المدينة المنوّرة على الشيخ عبد الحميد بن باديس، فاكتشف أنّه يشترك معه في هموم وطنه الجزائر، الذي ابتلي بالاستعمار الفرنسي، فكانا يجتمعان دائما بالمسجد النبوي، يتدارسا الوضع ،ويفكران في كيفية تحرير وطنهما الجزائر، فوضعا هناك لبنة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1917م.[2]

وهكذا فقد تأسست الجمعية وظهرت إلى الوجود، وبدأ النضال من أجل استرجاع الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، ولو تأخر ظهور هذه الجمعية كما يقول الشيخ البشير الإبراهيمي عشرين سنة أخرى "لما وجدنا من يسمع صوتنا".[3]

فقد حدّد الشيخ البشير الإبراهيمي أهداف الجمعية في النقطتين التاليتين: إحياء مجد الدين الإسلامي، وإحياء مجد اللغة العربية.[4]

شدّ الإبراهيمي الرحال إلى دمشق وأقام بها أربعة سنوات، قاده بعض أصدقائه إلى وظيفة أستاذ الأدبيات العربية ،وتاريخ اللغة بالمدرسة السلطانية، وتخرج على يدّه كثير من الطلبة،[5] ثمّ عاد إلى الجزائر سنة 1920م، فشارك في الحركة الإصلاحية إلى جانب الشيخ ابن باديس، ولما تأسست جمعية العلماء وضع دستورها وانتخب وكيلها، ولما قامت الحرب العالمية الثانية رفضت الجمعية تأييد الحلفاء، فوضع تحت الإقامة الإجبارية لمدّة ثلاثة سنوات في آفلو بالأغواط، وفي أثناءها جاءه خبر

[1] – آسيا تميم: الشخصيات الجزائرية 100 شخصية التاريخية والفكرية، ص 76.

[2] – رابح لونيسي: سلسلة أبطال من وطني، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، المجاهد بالقلم، دار المعرفة، الجزائر، (د،ط)، (د،س)، ص 08.

[3] – عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، عالم المعرفة، الجزائر، د، ط، 2009، ص 98.

[4] – عبد الكريم بو صفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، دار مداد، الجزائر، ط2، 2009، ص 146.

[5] – بشير كاشة الفرحي: محمد البشير الإبراهيمي شيخ العلماء وفارس البيان، سلسلة "أعلام بلادي"، دار الآفاق، الجزائر، دط، 2004م، ص 25.

وفاة ابن باديس في 16 أفريل1940م، فانتخب غيابيا رئيسا للجمعية، ولما أطلق صراحه، تواطرت جهوده الإصلاحية.[1]

وفي هذه الفترة من حياته أنشأ عددا كبيرا من المدارس العربية وأهمّها: معهد عبد الحميد بن باديس الثانوي في قسنطينة، كما تولى مسؤولية «جريدة البصائر» الذائعة الصيت في المغرب والمشرق، والتي كانت من أقوى الصحف العربية دفاعًا عن قضايا العروبة والإسلام.[2]

كما اهتمت البصائر بالدفاع عن قضية «فلسطين» فكتب فيها الإبراهيمي مقالات رائعة.[3]

سافر الإبراهيمي إلى المشرق العربي للمرة الثانية عام 1952م ممثلا لجمعية العلماء، ليسعى لدى الحكومات العربية لقبول بعثات طلابيّة جزائرية في معاهدها وجامعاتها وطلب الإعانة المادية والمعنوية للجمعية.[4]، فانتقل بذلك الكثير من الجزائريين للدراسة في جامعات المشرق العربي، فكان الشيخ يلتقي بهم أسبوعيا، ويقول لهم: «إنّكم لن تستطيعوا أن تنفعوا وطنكم وأمتكم إلا إذا ملكتم سلاحين مهمين بدونهما لن تفلحوا في الحياة، ولن يستفيد منكم وطنكم شيئا، هما: العلم القوي، والأخلاق القويمة»، وكان ينصحهم دائمًا بروح النقد، يوصف الشيخ الإبراهيمي بعلمه الواسع، وهو الضليع في اللّغة العربية حتى لقب بأمير البيان.[5]

ومع انطلاق أول رصاصة في ليلة أول نوفمبر من عام 1954م، تعلن عن اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر، بادر الشيخ الإبراهيمي إلى إعطاء دعمه ومباركته لهذا الحدث المنتظر؛ حيث وجه بيان إلى الشعب الجزائري نشر في العديد من الصحف الشرقية.[6]

---

[1] – رابح لونيسي: معجم الأدباء العلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 2009م، ص 33.

[2] – عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ج1، دار مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، ط1، 1432هـ، 2011م، ص 20.

[3] – هشام بالقاضي: معجم علماء الدين والإصلاح في الوطن العربي، الجزائر، منشورات ابن سينان، تلمسان، الجزائر، ط1، 2011م، ص 213.

[4] – محمد الطاهر فضلاء: أعلام الجزائر، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى، ص166.

[5] – آسيا تميم: الشخصيات الجزائرية 100 شخصية التاريخية والفكرية، ص76.

[6] – سليمة كبير: من أعلام الجزائر في العصر الحديث، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، أمير البيان وحامي الشخصية الوطنية الوطنية، المكتبة: الخضراء، الجزائر، دط، د س، ص31.

أمّا بخصوص مؤلفاته يقول الشيخ البشير الإبراهيمي "لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالا وعملت لتحرير عقولهم تمهيدا لتحرير أجساده ،وصححت له دينه ولغته، فأصبح مسلما عربيّا وصححت له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيا وحسبي هذا مقربا من رضى الرب ورضى الشعب "،ومع ذلك ساهمت بالكتابة في موضوعات مفيدة، ولكن لم يساعدني الفراغ ولا وجود المطابع على طبعها ولقد بقيت كلّها مسودات في مكتبتي في الجزائر.»[1]

ومن مؤلفاته نذكر منها:

1. عيون البصائر: كتاب ضخم يضم ما كتبه من مقالات في جريدة البصائر.
2. كتاب النقايات والنفايات في لغة العرب: فيه كلّ ما هو على وزن فُعالة.
3. أسرار الضمائر العربية.
4. التسمية بالمصدر.
5. الاطراد والشذوذ في العربية.
6. رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.
7. رسالة مخارج الحروف وصفاتها بين العربية والقصص والعامية.
8. ملحمة رجزية طويلة: تبلغ 3600 بيت من الرجز السلس، وقد دارت موضوعاتها حول تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري،[2] ومن ضمن ما ترك من آثاره القيمة رواية شعرية من أبدع الروايات وهي رواية الثلاثة.[3]

بعد هذا الجهاد الطويل، أسلم الإبراهيمي روحه الطاهرة إلى خالقه يوم الأربعاء 18 محرم 1385هـ- الموافقل19 ماي 1965 م ،وفارق الدنيا عن عمر يناهز 76 عامًا، وكان ليوم وفاته

[1] – تركي رابح عمامرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931، 1956) ورؤسائها الثلاثة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط1، 1425هـ. 2004م، ص193.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي، ج3، عيون البصائر، جمع وتقديم، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 40.

[3] – عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، تأريخا..وأنواعا.. وقضايا.. وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،ط2، دس، ص 58.

الأثر البليغ في نفوس جماهير الشعب الجزائري، ونعاه العالم العربي والإسلامي منكسا آلامه معلنا حداده.

دفن الشعب جثمان فقيده بمقبرة سيدي محمد بالجزائر العاصمة بعد أن أقيمت عليه صلاة الجنازة بالجامع الكبير، يوم الجمعة 20 محرم 1385هـ والموافق لـ 21 ماي 1965، وكان ممن حضر الموكب الجنائزي الرئيس الراحل هواري بومدين والشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة رفيق جهاد الإبراهيمي الذي وقف على جثمان الفقيد، يرثيه بقصيدة حزينة جاء فيها:

أَيُّ خَطْبٍ هَــزّ البِــلاَدَ عَوِيـلاَ ... وَدَهَــاهَــا فَــمَا تُفِــيقُ ذُهُــولاَ

أَيُّ هَوْلٍ تَشِيــبُ مِنْـهُ النَّوَاصِي ... يَــوْمَ شَــاءَ البَــشِيرُ الرَّحِيــلاَ

لَسْتُ أَنْـسَ غَدَاةَ أَسَّـسَ لِلعِـلْمِ ... كِيَــانًا يُــطَــالُ المسْتَحــيِـلاَ

بِشِعَارِ الإِسْلاَمِ والعِلْمِ والفُصْحَى ... رَكِــبتُمْ إلى الجِـهَــادِ خُــيــُولاَ[1]

[1] – محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص 62، 63.

سابعا– التعريف بـــ "عيون البصائر":

هي مجموعة مقالات كتبها الإبراهيمي، نشرت في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سلسلتها الثانية، الممتدة من سنة 1947م–1957م ،حيث جمعها ابنه أحمد الطالب الإبراهيمي، وتتضمن رؤية الإبراهيمي للكثير من قضايا الأمة المصيرية على الصعيدين الداخلي والخارجي، ومحاولته تقديم وعرض مشاكل المجتمعات العربية من خلال نقد الواقع المشترك بينها آنذاك، فقد دبج الإبراهيمي أروع المقالات وأبدع التحليلات، وخاض في صفحاتها أصدق الهجمات على الاستعمار وسياسته وأعنف الحملات على الذين خانوا أمانة الإسلام والأوطان... في أسلوب بديع وبيان رفيع، ويذكر بأزهى عصور اللغة العربية.[1]

كما تعد عيون البصائر أرقى ما كتبه الإبراهيمي من حيث فصاحة اللفظ وحسن اختياره في التركيب اللغوي والسياقي، والعناية الفائقة بتوليد المعاني والصيغ، وإحداث المتعة الجمالية والأدبية والفكرية لدى القارئ.[2]

جريدة البصائر هي جريدة المبادئ الصحيحة و الأفكار القويمة، هي إحدى الدعائم القوية التي تقوم عليها رسالة جمعية العلماء، وشعارها دائما «البيان العربي والوطنية الحقة»، ولم تحد عن هذا الشعار في يوم من الأيام وقد بيضت وجه الجزائر في عدة مواقف، وبذلت جهود جبارة في خدمة الإسلام والعروبة في هذه البلاد لا ينكرها إلا جاحد أو معاند، وفي نفس الوقت سجلت فصولا قوية في تاريخ القضية الجزائرية.[3]

القيمة الأدبية لعيون البصائر تتمثل في ذلك المستوى الأدبي الرفيع الذي ارتقى أسلوب نصوصها، فصاحة، وبلاغة وقدرة فائقة على التعبير والإفصاح عمّا يجول بخاطر صاحبها من أفكار ومعاني ،وانفعالات ،وأحاسيس وتبليغها إلى المخاطب في سهولة وتسيير، فلم تكن البصائر من جنس

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي، ج2، (1940،1952)، تقديم وجمع، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 27.

[2] – عبد الله بوخلخال: العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر، مجلة وصل، عدد2، معهد اللغة العربية آدابها، جامعة تلمسان، الجزائر، 1997، ص 45،46.

[3] – مولود عويمر: تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، ج1، دار قرطبة، تلمسان، الجزائر، ط1، 1432هـ–2011م، ص 138.

الصحف التي ترضى بالإسفاف في أسلوبها والاضطراب في لغتها، والسطحية في أفكارها بل هي صحيفة تعرض العربية الراقية في الألفاظ والمعاني والأساليب.[1]

لم يكن دور جريدة البصائر الدفاع عن عروبة الجزائر، وإسلامها، وحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال فحسب، بل وفي تطوير النثر الجزائري الحديث كذلك.[2]

[1] – عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، 1925-1945، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983، ص 113.

[2] – محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، د ط، 1983، ص 115.

ثامنا – الخصائص الفنية لفن المقال عند محمد البشير الإبراهيمي:

يعد البشير الإبراهيمي من الكتاب الأوائل الذين اهتموا بفن المقال، وأولوه عناية فائقة؛ من حيث كونه لون من ألوان النثر الفني الذي كثر استعماله في الأدب العربي، إذ أنه لم ينتج في فن أدبي أكثر مما أنتج في فن المقال، كما يعترف بذلك قائلا: «أحب ميدان من ميادين العمل إلى نفسي وهو صفحات البصائر، فلقد كنت أجدّ من اللّذة من ذلك العمل، ما لا أجدّه في غيره من أعماله العمومية»[1]، حيث عالج مواضيع شتى في مختلف المجالات السياسية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية، وسنعرض لأهم السّمات الفنية المميزة لفن المقال عنده كالآتي:

- المتأمل في أدب المقال عند الإبراهيمي يلحظ مدى احتفاء الكاتب باللّغة العربية الأصلية ذات البيان الراقي، مما يجعلنا ننعت لغته عمومًا، بأنّها كلاسيكية محافظة، استحضر بها الكاتب اللّغة العربية في أزهى صورها.[2]

- أسلوبه يّتميز بالخفة الأناقة، والقوة، والرصانة، فيه جزالة الألفاظ وقوتها، وتناسق العبارات وتجانسها، وتآلفها وكرم المعاني.[3]

- التصوير عند الإبراهيمي خاصية بارزة في مقالاته ،وقدرته عليه فائقة تنبئ عن قوة مخيلته وتحركها الدائب المبدع بين عناصر الوصف، ومن سمات هذا التصوير الكثافة والجدّة.[4]

- اعتنى الإبراهيمي بالصور البيانية بشكل جلي، وأهتم بالاستعارة اهتماما شديدا، وبالمجاز بصورة تجعل من أسلوبه ميزة خاصة بها، وما ساعده على ذلك إطلاعه الواسع على عيون الأدب العربي وأمهاته، واصطناعه أيضا للمحسنات البديعية كالسجع، والمقابلة، والطباق، والجناس... فلا يكاد يخلو منه مقال من مقالاته.[5]

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي، ج4، (1940،1952)، تقديم وجمع أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1997، ص 107.

[2] – عقيلة صخري: فن المقال عند محمد البشير الإبراهيمي، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، 1400هـ، 1990م، ص 367، 368.

[3] – عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص 100.

[4] – المرجع نفسه، ص 11.

[5] – عطا كفافي: المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (د، ب)، ط1، 1985، ص19.

- اللهجة الخطابية هي خاصية بارزة في نثر الإبراهيمي، ولهذا البروز ارتباط وثيق بالغرض والمضمون؛ فالإبراهيمي لا يكتب لمجرد التعبير أو الإمتاع ولكنه يكتب لأداء رسالة الإبلاغ و النصح، والتعليم، والإرشاد، وأن موضوعاته يطغى عليها الاتجاهين السياسي والإصلاحي.[1]

- الانفعالية خاصية يتميز بها أدب الإبراهيمي؛ وهي ظاهرة أحدثتها طبيعة المواقف التي يعبر عنها الأديب، فحرارة الانفعال تعدّ من أهم عناصر الأدب الصادق.[2]

- تميزت مقالاته أيضا بأسلوب السرد القصصي، من وصف للشخصيات وحكي للأحداث بأسلوب مشوق، فعندما نقرأ لكتاباته نشعر أننا أمام قصة يحكيها الأديب بأسلوب يجمع كثيرا من الخصائص العامة للقصة، وهذا راجع لثقافته العربية المستمدة من التراث«إذ يؤمن بالوضوح بأكثر مما يلجأ إلى الرمز، ويتحدث عن كل لا عن شريحة، وعن أمّة لا عن فرد، وعن أفكار ومقوّمات لا عن مشاعر، وينهض عن الحقيقة لا عن التخيل».[3]

- استعمل الإبراهيمي كذلك خاصية الالتزام في مقالاته، حيث عالج مختلف المواضيع التي تخص أمّته مستمدًا تجربته من الواقع، «فكان بذلك رائد جمهوره وقائدا له في أدبه وفكره،يعمل على إيقاظ الشعور الجمعي في أمته وشعبه»[4]، لاتصاله الوثيق بالمجتمع، واطلاعه على إيجابياته وسلبياته، وكذا المشكلات المحيطة به، وأوّل هذه المشكلات مشكلة الاستعمار، حيث يقول: «من أراد أن يخدم هذه الأمّة فليقرأها، كما يقرأ الكتاب، وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية، فإذا استقام له ذلك استقام له العمل وأمن الخطأ، وضمن النجاح».[5]

- وظف الإبراهيمي كذلك الاقتباس والتضمين، ويتمثل هذا في الاغتراف من الأدب العربي القديم، فمن المدرسة النثرية الشرقية التي يمثلها ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان الهمذاني وابن العميد، وعبد الحميد الكاتب، أخذ كثيرا من أساليب التعبير كالتقسيم المنطقي للعبارة، والترادف الصوتي عن

---

[1] – عبد الملك بومنجل:النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،ص 115.

[2] – محمد عبّاس: البشير الإبراهيمي أديبا، البصائر، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، (د، ط)، (د، س)، ص336.

[3] – شكري فيصل: قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، مجلة الثقافة، ع87، دار الأمة، 1985، ص212،211.

[4] – محمد بن سمينة: أسس مشروع النهضة عند الإمام بن باديس، ج2، منشورات المجلس الإسلامي الإعلامي، الجزائر، (د، ط)، 2007، ص285.

[5] – عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام.. وقضايا.. ومواقف)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ، دط، د س، ص217.

الكاتب، وابن المقفع، والسخرية عند الجاحظ، وقبل ذلك كلّه اعتماده على القرآن، ثم على الحديث النبوي الشريف.[1]

- جاءت مقالاته منظمة مرتبة كحبات اللؤلؤ التي تنتظم في عقد واحد، بحيث تأخذ كلّ حبة حيزها المكاني فيه، فلا تطغى واحدة على أخرى، إذ نجد لكلّ مقالة عنوانا يتناسب ومحتواها، وتعرض عرضا فنيا متسلسلا، من المقدمة إلى العرض فالخاتمة، فضلا عن تقسيم الموضوع إلى فقرات تيّسر على القارئ متابعة الفكرة والإحاطة بأجزائها، وربّما لا تخلو مقالة من مقالاته من الأثر المنطقي، وبالإضافة إلى ذلك كلّه تتسم هذه المقالات بسمّة الربط المحكم بين فقراتها وأجزائها، فلا يشعر القارئ بتفكك أو اهتزاز في الفكرة.[2]

نستنتج بأن الإبراهيمي قد لاءم بين الأسلوب والفكرة، حيث جاء أسلوبه أنيقا في اختيار وتأليف الكلام، وتوليده للمعاني والصيغ، وفي كيفية الطرح والمعالجة للموضوع، وهذا راجع لتوظيفه للصور البيانية، والمحسنات البديعية، ولغته العربية الأصلية، أمّا من ناحية الفكرة فكان أدبه ذو قيمة رفيعة، وهذا ما يفسر عمله الأدبي بمختلف المواضيع التي عالجها السياسية، الاجتماعية، الثقافية...الخ

[1] – محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص223،225.

[2] – السعيد بوبقار: فلسطين في أدب الإبراهيمي، دراسة تحليلية فنية، رسالة ماجستير، في أدب الحركة الوطنية الجزائرية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 1429هـ، 2008م، ص161.

الفصل الأول: جماليات اللغة في مقالات عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي

أولا: بناء الألفاظ في "عيون البصائر"

1. الترادف
2. الاشتقاق
3. الغريب
4. الدخيل

ثانيا: بناء التراكيب في عيون البصائر

1. الإيجاز والإطناب
2. الاقتباس والتضمين
3. الخبر والإنشاء
4. القصر

ثالثا: التصوير الفني والتخييل في عيون البصائر

1. المحسنات البديعية
   - أ- الجناس
   - ب- السجع
   - ج- الطباق
   - د- المقابلة
2. الصور البيانية
   - أ- التشبيه
   - ب- المجاز
   - ج- الاستعارة
   - د- الكناية

الفصل الأول: جماليات اللغة في مقالات «عيون البصائر» للبشير الإبراهيمي:

إن اللغة العربية كباقي اللغات، قد حافظت على وجودها بسبب تميزها بخصائص ساعدتها على البقاء. ولما كان التطور أهم عامل على ذلك، فإنها على مر العصور تبادلت التأثير مع جاراتها بشتى الطرق، فأثرت و تأثرت.

ينتمي الإبراهيمي إلى مدرسة الأدب المحافظة، وهو زعيمها في الجزائر، في وقت كانت فيه اللغة العربية تواجه تحديات البقاء تحت ظل الاحتلال، وكان لتكوينه التعليمي الأثر في ميوله إلى موروث الأجداد في الأدب العربي، « وقد كانت ثقافته العربية العميقة، وحفظه الموفور للمقامات والخطب، والأشعار، و شوارد الأمثال ونوادر اللغة؛ أهلته لهذه المنزلة، وجعلت منه خير ممثل لهذه المدرسة في الجزائر».[1] فحين نقرأ مقالات الإبراهيمي، نكتشف بأنه لائم بين الفكرة والأسلوب العربي التقليدي والبلاغة العربية القديمة، « إن الأسلوب هو الشخص، ومعنى هذا القول أن لكل كاتب مقتدر أسلوبا خاصا به يكون كالطابع له، لا يحيد عنه إذا كتب».[2] وقد انطبق هذا التعريف على البشير الإبراهيمي.

« ...فأنت لا تكاد تقرأ له مقالة واحدة من مقالاته حتى يكون قد فرض عليك شخصيته، وجعلك تتمثل أسلوبه وتستجليه في كل جملة يخطها قلمه، أو ينطق بها لسانه».[3]

نستنتج أن الإبراهيمي قد عالج مواضيع متشعبة بلغة راقية، تجعل القارئ يحس بأنه أمام مدرسة فذة ثابتة الأركان، واضحة المعالم تنطق بعظمته كاتبا، وخطيبا، ومفكرا، وتجعله من بين قادة الفكر، ودعاة الإصلاح الإسلامي.

---

[1] – عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1945، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1983م، ص328.

[2] – باعزيز بن عمر: من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسيين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، منشورات الصبر، الجزائر،ط2، 2007، ص106.

[3] – المرجع نفسه، ص107.

أولا: بناء الألفاظ في عيون البصائر:

إن أي كلام منطوق أو مكتوب للغة، يمكن تجزئته إلى وحدات مستقلة؛ أي إلى جمل يمكن تجزئتها إلى مفردات، « لقد حظيت الكلمة –بوصفها عنصرا من عناصر النظام اللغوي- باهتمام المشتغلين بها، قديما، وحديثا»[1]، فأردنا في بحثنا هذا دراسة مقالات البشير الإبراهيمي "عيون البصائر" في محاولة منا للتعرف على بناء المفردات والتراكيب، من ترادف، واشتقاق، وغريب، ودخيل، واقتباس، وقصر وهذا لزيادة المعنى قوة والمبنى أناقة.

1. الترادف:

يرى علماء اللغة بأن الترادف، « من دلائل فضل اللغة العربية تفخر به على غيرها، وخصيصة من خصائصها الشريفة اللطيفة ودليلا على سعة اللغة وغناها»[2]، وقد نجد في العربية ألفاظا عديدة، متقاربة المعاني، إذ يرى علماء الدلالة: « أن الترادف علاقة بين لفظين اتحد معنياهما، ويتوقف الحكم على كلمتين بأنهما مترادفتان في معنى ما أولا على نوع المعنى، إذ قد تكون الكلمتان مترادفتين في نوع ما من المعنى، ومختلفتين في نوع آخر».[3]أكثر الإبراهيمي من استعمال المترادفات، لا لغرض التكرار، بل من أجل « الحرص الشديد على تدعيم اللفظة – على الرغم من قوتها الذاتية- وذلك بالاستعانة بألفاظ تشكل أبعادا رئيسية للمعنى الأساسي».[4] وظف البشير الإبراهيمي في مقالاته: "عيون البصائر"، الترادف بشكل كبير وهذا لأغراض كثيرة ومن أمثلة ذلك نذكر:

نجد الترادف في مقاله بعنوان "استهلال" بقوله: « ألا إن فرسان الكلام والأقلام، كفرسان النزال والعراك، في كثير من الخصائص.»[5]، الترادف في لفظتي "النزال" و"العراك".

---

[1] – كريم زكي حسام الدين: التحليل الدلالية إجراءاته ومناهجه، ج1، www.kotobarabia.com، ص5.

[2] – حاكم ملك الزيادي: الترادف في اللغة، دار الحرية للطباعة، بغداد، دط، 1980م، ص280.

[3] – محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص75.

[4] – عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص103.

[5] – محمد البشير الإبراهيمي: مجموعة البصائر التي كتبها لافتتاحية عيون البصائر، الشارقة، الوطنية للنشر والتوزيع، السلسلة الثانية، الجزائر، ص17.

وفي مقاله أيضا: "التعليم العربي"، قائلا: «...وأملتها أفكار خالية من الحكمةوالسداد...»[1]، الترادف في لفظتي الحكمة والسداد.

كما نجد الترادف في مقال " جمعية العلماء أعمالها ومواقفها " ...لا يتطرق إليها، التبديل والتغيير "[2]، الترادف في كلمتي التبديل والتغيير.

وفي مقاله "الأديان الثلاثة في الجزائر" بقوله: «كل ذلك من عمد وقصد...»[3]، الترادف في لفظتي "عمد" و"قصد".

وفي مقاله: "التقرير الحكومي العاصمي"، بقوله: «إذ هي منافية لروح الإسلام، ومناقضة لحكمته في المساجد» ورد في كلمتي: "منافية" و"مناقضة".

وفي مقاله: "وشهد شاهد"، بقوله: « يأتي ببيناته وحججه، والمبالغة في الخضوع والانقياد»[4]، نجد أن الترادف في العبارة ورد في: "بيناته وحججه" و"الخضوع والانقياد".

يتبين لنا أن الإبراهيمي قد حقق لمقالاته فوائد عدة، في استعماله للمترادفات والتي تتمثل في جزالة الألفاظ، وقوتها، وتناسق العبارات، بالإضافة إلى أن الهدف الأساسي للترادف يكمن في خدمة المعنى من أجل إيضاحه.

2. الاشتقاق:

تتميز اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية، وهذا يعني أن هناك مادة معينة مثل (ك ت ب). يمكن تشكيلها على هيئات مختلفة، كل هيئة منها لها وزن خاص ولها وظيفة خاصة، ويعرف الاشتقاق على أنه « من أهم وسائل النمو اللغوي، والتعبير عن الدلالات الجديدة ومكتشفات العلم، ومخترعاته وتطور وسائل الحياة والحضارة»[5]، وقد أسهم في بقاء اللغة وتجددها وتطورها.

[1] –محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ، ص24.

[2] – المصدر نفسه، ص32.

[3] – المصدر نفسه، ص64.

[4] – المصدر نفسه، ص208،210.

[5] – محمد أسعد النادري: فقه اللغة ومناهله ومسائله، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 2005، ص257.

ومن **الأسماء المشتقة**:

أ- اسم الفاعل: كالفعل لازما أو متعديا، « فإن كان لازما اكتفى بفاعله نحو: أمسافر الرجلان، وإذا كان متعديا نصب مفعولا نحو أضارب محمود أخاك؟»[1].

يلاحظ القارئ عند قراءته لمقالات البشير الإبراهيمي كثرة استخدامه لاسم الفاعل، وهذا راجع إلى طبيعة المواضيع التي عالجها في مقالاته، فهو يتوجه إلى جمهور عادة ما يكون هو المعني بالخطاب، فحين يخاطب الشباب الجزائري يستحضر كل المعاني المرتبطة بمقومات الأمة، فيختار لها الأسماء المناسبة، وقد أدت هذه المشتقات معنى الصفات الحميدة التي تمنى الكاتب أن يتحلى بها الشباب الجزائري والصفات الذميمة التي تمنى أن يتخلى عنها، وقد أحسن الكاتب اختيار الألفاظ التي وظفها في مقالاته، فحينما يقول: « أتمثله طاغيا عن القيود... وجامعا عن الأعنة... خاوي الجوانح من الخوف...مصاولا لخصومه».[2]

كما أحسن اختيار الألفاظ التي تحث على الأخلاق الحميدة، والتشبث بالدين والوطن، والعلم حينما تخيله: « متساميا إلى معالي الحياة... جاعلا أول الفكر آخر العلم... مقبلا على العلم... متقلبا في الطاهرين... مقدما لدينه قبل وطنه... بانيا الوطنية على خمس»[3].

ومن خلال هذه الأمثلة نلاحظ تنويع الكاتب لأوزان هذا الاسم المشتق كالآتي:

- مُتَفَاعِل: مُتسام
- فَاعل: طاغٍ، خاوٍ، جامِح، جاعِل، بانٍ.
- مُفْعِل: مُقْبِل.
- متفعّل: متقلّب.
- مُفَاعِل: مُصاوِل.
- مُفَعِّل: مقدِّم

[1] - فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ، 2000م، ص170.

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص594.

[3] - المصدر نفسه، ص588،586.

ب- اسم المفعول:

يعرّف بأنه:« وصف يشتق من مضارع الفعل المبني للمجهول، لمن وقع عليه الفعل... ويشتق اسم المفعول من الفعل الثلاثي على زنة مفعول... ويشتق اسم المفعول من غير الثلاثي على صيغة اسم فاعله من غير الثلاثي، على زنة المضارع الذي يشتق منه، بإحلال ميم مضمومة محل حرف المضارعة وفتح ما قبل آخره مطلقا».[1]استعمل الإبراهيمي اسم المفعول الذي غالبا ما يعبر به عن الظلم والقهر الذين كابدهما الشعب الجزائري. ونجده يبدع في تصوير مجازر 8 ماي 1945 فكان هذا المقال إحياء لهذه الذكرى، التي تعبر عن وجدان مجروح، ونفس ملتاعة حزينة، وشعور الظلم والاضطهاد، فقد وظف اسم المفعول في هذه المقالة ليدل على المأساة التي عاشها الشعب من تنكيل وتقتيل فيقول فيها: « يوم مظلم الجوانب بالظلم مطرّز الحواشي بالدماء المطلولة »[2]، « فيجد الأب قتيلا والأم مجنونة من الفزع، والدّار مهدومة أو محرقة، والغلة متلفة، والعرض منتهكا، والمال نهبا مقسما، ولله أموال محترمة استبيحت فيك».[3]بالإضافة إلى هذا فإن الكاتب قد وصف الاحتلال الهمجي بعبارات مثل « وعطفه على عدو الأمس المشترك... ومن يكون البادئ يا ترى الضعيف الأعزل، أم القوّي المسلح»[4] فالأوزان التي استخدمت في الأمثلة السابقة هي:

- مفعول: منكوبة، مجنونة، مهدومة.
- مُفْعِل: مطرّز، مسلّح،مقسم.
- مّفْعِلْ: متلِفْ، محرِقْ.
- مفتعل: مشترك، منتهك، محترم.

[1] – عبد العزيز عتيق: المدخل إلى علم النحو والصرف، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1974، ص87،90.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص369.

[3] – المصدر نفسه، ص371.

[4] – المصدر نفسه، ص371.

ج- الصفة المشبهة:

تعرف بأنها: « هي اسم ينعت بها كما ينعت باسم الفاعل، وتذّكر، وتؤنث، ويدخلها الألف واللام، وتجمع بالواو، والنون (كاسم الفاعل وأفعال التفضيل). كما يجمع الضمير في الفعل، فإذا اجتمع في النعت هذه الأشياء التي ذكرت أو بعضها شبهوها باسم الفاعل».[1] يوظف الإبراهيمي الصفة المشبهة في الكثير من مقالاته، سواء المتفقة في الوزن مع اسم الفاعل أو غيرها؛ ونلاحظ هذا في مقاله "إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم إلى الخارج"، حيث استعمل الصفة المشبهة في كثير من المواضع شأنها شأن اسم الفاعل. وقد أتت كخصال حث الطلبة على الالتزام بها حين الولوج في عالم الغربة، حينما يقول: « إنكم يا أبناءنا، مناط آمالنا ومستودع أمانينا نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة... وفارقتم الوطن الذي له على كل حرّ كريم دينا...»[2].

« وكانوا يرجعون بالرواية الواسعة والمحفوظ الغزيروينقلونلجديد من العلم والطريف من الآراء والمفيد من الكتب...»[3]، وفي قوله أيضا: « إنكم إن تفعلوا تنفتح لكم أبواب من العلم وتلح لكم آفاق واسعة من الفهم... لا تقنعوا بالكتاب المقرر واقرؤوا غيره من الكتب السهلة... ولا لعمري ما سلاح الأديب إلا الأغاني وأمثاله ، ولا سلاح الفقيه إلا تلك الكتب... فإن الوطن يرجوا أن يبني بكم جيلا قويا، شديد العزائم، سديد الآراء متين العلم، متماسك الأجزاء، يدفعوا عنه الفوضى السائدة، وهذا الفتور البادي على الأعمال وهذا الخمول المخيّم على الأفكار... ووجد كل شيء ضاحكاباسماجميلامحبوبا»[4].

[1] – أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي: الأصول في النحو، تحريري: عبد الحسين الفتلي، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1417هـ، 1996م، ص130.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص210.

[3] – المصدر نفسه، ص217.

[4] – المصدر نفسه، ص220.

وقد جاءت بعض هذه الصفات وصفا لواقع مرير يعيشه المجتمع، مثل: « نحن نعلم أن الأب الفقير حين يرضى فراق ولده إنما يفعل ذلك اعتقادا أن فعله تكفير عن جريمة الجهل... وأن الأب العالم الذي يرضى بذلك ويهون عليه الجاهل، أحسن إدراكا لزمن منه... يا أبنائي إذا عرفتم هذا... وواجب الوطني المجدب... فإذا جاريتم هذه الأهواء المتباينة، واستجبتم لهذه الأصوات المتنافرة، ضيعتم عن هذا الوطن جيلا».[1]

وفيما يلي أوزان الصفة المشبهة في كل عبارة:

- فعيل:ثقيل،كريم،فقير، غزير، جديد، طريف، أديب،شديد،سديد،متين،قوي،قريب
- فاعل: جاهل، واسع، باد، سائد، ضاحك.
- متفاعل: متماسك، متباين، متنافر.
- فعل: سهل.
- مفعل: مجدب، مفيد.
- مستفعل: مستمر، مستحكم.

د- اسم التفضيل:

يعرف بأنه: « هو الاسم المشتق على وزن (أَفْعَلْ) للدلالة على زيادة أحد المشتركين في صفة واحدة.»[2]، فالمفضل عليه لا يخلو من مشاركة المفضل في المعنى غالبا.

استعمل الإبراهيمي اسم التفضيل في مقالاته من أجل عقد المقارنات لأغراض كثيرة حققها بفضل ملكته اللغوية.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في مقاله « التعليم العربي والحكومة» قائلا: « لم تشأ أن تعلم منا في قرن وخمس قرن تعليما ابتدائيا أبتر إلا أقل من العشر، مما هم في سن التعليم».[3]فاضل الإبراهيمي هنا بين التعليم الذي تتبناه حكومة وطنية، وبين التعليم الفرنسي، فوصفه بالأبتر أي المقطوع الناقص،

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ، ص221.

[2] – عبد الهادي الفضلي: مختصر الصرف، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دس، ص162.

[3] –محمد البشير الإبراهيمي:المصدرالسابق ، ص234.

الذي لا فائدة منه، وقد ورد مثل هذا الغرض في السياق ذاته في مواضع عديدة منها: في نفس المقال، «... فإن يقوم طلب الرخصة إلى أصغر مكلف... وأثبت الفحص الإداري براءته من العيوب، صغيرها وكبيرها وأكبرها، أن فيه وسما من جمعية العلماء... وليت المتاع بها طويل، ولكنه متاع قليل، بل هي أحط وأقل من رخصة فتح مقهى فإذا زاغ عن الصراط أو قصر في الاشتراك فنزعها من أهون عليها من قص القلامة».[1]

هـ- اسم الزمان والمكان:

يدل على « زمان أو مكان وقوع الفعل ويشتقان بنفس الطريقة، ويفرق بينهما من خلال معنى الجملة، ويصاغان من الفعل الثلاثي على وزن (مفعل) كما يصاغان من غير الثلاثي كاسم المفعول نحو: مخرج».[2]

لا شك أن لاسمي الزمان والمكان عند الإبراهيمي دلالات مرتبطة بالتاريخ والجغرافيا، اتصلت بظروف الجزائر في القرن الماضي، وما أحاط بها، من أحداث في الشرق والغرب. ومن أمثلة ذلك، في مقاله بعنوان "عروبة الشمال الإفريقي" «وجاءت الجغرافيا الطبيعية فوصلت هذا الشمالبمنابت العروبة من جزيرة العرب، وجاء الزمن بثلاثة عشر قرنا، تشهد سنوها وأيامها بأنها فرغت من عملها. وتم التمام ووقع الختم، وأن عروبة هذا الوطن جرت في مجاريهاطبيعية مناسبة».[3] وقد جاء اسم المكان (منبت) على وزن (مَفْعَلْ) فدل على تجذر العروبة واستمراريتها في هذا الوطن أما اسم المكان (مجرى) على وزن مفعل فهو موضع جريان الماء، وفيها دلالة على التلقائية والعفوية والتي امتزجت بها شعوب هذه الأمة.

وبعدها يؤكد على دور اللغة العربية في تهديد الوجود الفرنسي في الجزائر قائلا: « وكل ذلك مما يقضي مضجعه، ويطير منامه، ويصح سمعه ويقصر مقامه»[4]، وفي العبارة ثلاثة أسماء للمكان هي:

[1] – محمد البشير الإبراهيمي،عيون البصائر، ص235.

[2] – رمضان عبد الله رمضان: الصيغ الصرفية العربية في ضوء علم اللغة المعاصرة، مكتبة سبتان المعرفة للطباعة ونشر الكتب، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص96.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي: المصدر السابق، ص478،477.

[4] – المصدر نفسه، ص479.

مضجع من ضجع (على وزن مَفعل)، ومنام من نام (على وزن مفعل) وهما موضعا النوم، ومسمع من سمع (على وزن مَفْعَلْ) وهو موضع السمع أي الأذن. وتدل هذه الأسماء على أنه لا مكان للاحتلال في أرض الشمال الإفريقي ولا راحة فيها، إضافة اسم الزمان مقام من أقام على وزن مفعل ويدل مرة على مدة إقامة هذا الاحتلال التي مهما طالت، فهي قصيرة بالنسبة إلى امتداد هذا الوطن في التاريخ.

ثم يذم هذا الاحتلال المشؤوم بقوله: « ولكنه إلى مبتدئ أمره ومنتهاه رجس من عمل الشيطان وهل في عمل الشيطان خير أو حق؟»[1]، وبهذه العبارة اسما زمان هما: مبتدأ من ابتدأ ومنتهى من انتهى (على وزن مفتعل) يدلان على البداية والنهاية.

وقد وصف الكاتب مدة احتلال الفرنسيين للشمال الإفريقي بأسوء فترة عاشتها هذه الأمم لأنها كانت مليئة بالأحزان والسموم.

3. الغريب:

إن فصاحة الإبراهيمي جعلته يمتلك رصيدا هائلا من الألفاظ غير المتداولة في عصره، الذي تميز بغرابة اللغة العربية، جراء سياسة الطمس، والمحو التي انتهجتها فرنسا المحتلة، فقد كانت «اللغة العربية عنده الوسيلة والغاية في آن، أما كونها الوسيلة، فلأنه اتخذها قناة توصيل وإبلاغ، وأداة نضال وكفاح، يطرق بها المضامين الواعية والهادفة ويعالج بها المواضيع المتصلة بمصير أمته ومستقبلها، أما كونها غاية في ذاتها فلأنه كتب بأسلوب رفيع، يعلو بالعربية إلى قمة سامية من البيان ويعيد لها مجدها الضائع في وطن طمست شخصيته وغمرت ولغته»[2]، والملاحظ أن الإبراهيمي قد تعمد إدراج هذه القديمة كي يبعث الروح فيها من جديد، ويدفع المتلقي للتنقيب عن معانيها ومدلولاتها، ولعل هذا التصرف لا يصدر إلا من رجل ذي بعد في النظر وسعة في الفكر.أكثر الإبراهيمي في مقالاته من الألفاظ الغريبة والتي لا تفهم إلا بالعودة إلى المعاجم ونذكر منها في مقاله: « جمعية العلماء أعمالها ومواقفها»، « يؤكد أن العروبة جَذْمٌ بشري، من أرسخها عرقا، وأطيبها عَذْقًا عرفه التاريخ باديا وحاضرا».[3]

---

[1] –محمد البشير الإبراهيمي :عيون البصائر، ص481.

[2] – حسين بوحسون: أدبية الخطاب النثري عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دراسة، إصدارات دار الثقافة، بشار، الجزائر، ط1، 2011، ص09.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي: المصدر السابق، ص35.

في العبارة يوجد كلمتان غريبتان هما: الجذم ومعناه الأصل والعذق وهي النخلة بحملها.

ونلاحظ أن سبب استعمال كلمة عذق إلى كونها تعبر عن الشموخ والعلو، ثم يقول في نفس المقال « وابتلاه الاستعمار، عن قصد بالبلبلة فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها إلا الضاد... ولا من العربية إلا آيات ومخائِل».[1] الكلمة الدخيلة هي مخائل والمقصود بها الخيالات والتصورات، التي لا تقدم ولا تؤخر، ويقول أيضا في مقال «... بسيل المتسلطين لدوام السلطة أحد أمرين، إما الإحسان الذي يملك النفوس، وأما المحق لمقومات المغلوب الروحية والمادية مُغَافَصَة أو تدريجيا».[2] فالكلمة الدخيلة الغربية هنا هي مغافصة والتي تعني الفجأة.

4. الدخيل:

استعمل الإبراهيمي في مقالاته ألفاظا تتراوح بين عربية أصلية، تعبر عن رصيد لغوي كبير مرتبط بثقافته العربية الإسلامية، وألفاظ أجنبية دخيلة، فرضت نفسها، بسبب الواقع الثقافي السائد تحت سلطة الاحتلال. والهدف منها قدرتها على إفادة المعنى المقصود بغرض الإقناع والتأثير في المتلقي ومن أمثلة ذلك ما يلي في مقاله: «فصل الدين عن الحكومة».

« كأني بهذه الحكومة اللائيكية المسيحية –معًا– الديمقراطية الديكتاتورية –معا– ترمي بصبرها إلى ما وراء حدود الجزائر».[3] فالألفاظ الدخيلة هنا هما مصطلحي اللائيكية (Laicilé) والديمقراطية (Démocratie)، والمقصود باللايكية الفصل بين الدين والحكومة، أما الديمقراطية فتعني حكم الشعب.

أما في المجال الإداري في مقال « التقرير الحكومي العاصمي»، نلاحظ أنه استعمل كلمة الدّوسي (Dossier) في قوله: « وما رأيناها تحتفل في هذه الوظائف بالعلم... وإنما تحتفل بشيء واحد هو ما يشهد به الدّوسي».[4]

[1] – محمد البشير الإبراهيمي:عيون البصائر، ص36.
[2] – المصدر نفسه، ص168.
[3] – المصدر نفسه،ص89.
[4] – المصدر نفسه ، ص75.

وتعني كلمة الدّوسي هنا الملف الإداري الذي يحمل سيرة طالب الوظيفة أما في المجال الاجتماعي فنجده وظف عدة كلمات دخيلة منها: انديجان (Indigènes) والتي تعني السكان الأصليين وكلمة الكولون (Colons) أي المعمرون، والفرنك (Franc) وهي كلمة الفرنسيين، والتاي (Thé) أي الشاي، ومكروب (Microbe) أي جرثومة.

نستنتج من خلال دراستنا لنظام المفردات في مقالات عيون البصائر بأن البشير الإبراهيمي قد نوع في نثره، وعالج مواضيع مختلفة متشعبة، كونه استخدم مفردات عديدة على طريقة الترادف، والاشتقاق، والغريب، والدخيل، وكان هذا بلغة راقية أضفت عليه مسحة جمالية وزادت المعنى قوتا، وأكثر دلالة، وإيضاحا للقارئ.

ثانيا: بناء التراكيب في عيون البصائر:

1. الإيجاز والإطناب:

يعرّف الإيجاز بأنه: « جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض، مع الإبانة والإفصاح»[1]، فالبشير الإبراهيمي استعمل الإيجاز من أجل تجنب التكرار حتى يكون المعنى مفهومًا للقارئ.

أمّا الإطناب فيعرّفه علماء البلاغة بأنّه: «زيادة اللفظ على المعنى؛ أي المبالغة في الشيء»[2]، استعمل الإبراهيمي كذلك أسلوب الإطناب في مقالاته لجعل القارئ مركزًا أكثر على المعنى، وليس من أجل الإطالة والحشو اللذان يبعثان الملل إلى نفس القارئ، بل لدوافع مختلفة تخدم المعنى وتسدّ أي ثغرة في مبنى النص.

نلاحظ بأن مقالات الإبراهيمي غلبت عليها هاتان السّمتان المتمايزتان، وهذا دليل على تأثره بالقرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف وأقوال العرب، وأشعارهم ففي مقاله بعنوان: «فلسطين: تصوير الفجيعة» يقول: «إنّ الصّهيّونيّة وأنصارها مصممّون، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه»[3]، نلاحظ في العبارة إيجاز، حيث جمعت كلّ ما قام به الصهّاينة مع فلسطين وتمسكهم بأرضها.حكم العموم كقوله تعليقا على احتلال فلسطين «ومن ذلك فقد رضينا ورضي العرب...»[4]، وقد أطلق هذا الرّضا ولم يخصّصه ليبرز استسلام العرب التام لليهود ومؤيديهم.

---

[1] – السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والكلام والبديع، تدقيق وفهرسة حسن نجار محمد، دار ناشر مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 1426هـ، 2005م، ص183.

[2] – فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1407هـ، 1987م، ص498.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص495.

[4] – المصدر نفسه ، ص5.

وظف الإبراهيمي أسلوب الإطناب زيادة لفائدة الكلام ومن أمثلته نجد: في مقاله بعنوان: «من نفحات الشرق: الأستاذ الشيخ محمد بهجت البيطار.» يقول: «وعهدا أولئك الإخوان، إني ما جَفَوْتُ ولا غَفَوْتُ، وإني لم أزل —منذ افترقنا– أتسقط أخبارهم من الصحف ومن السّفار».[1]

والملاحظ أنّ الكاتب قد أورد معنى عدم نسيانه لأصدقائه بعبارتين مختلفتيّن هما (ما جَفَوْتُ ولا غَفَوْتُ)، (وأتسقط أخبارهم من الصحف)؛ أي أنّه قدم معنى واحد في صورتين مختلفتين إحداهما مبهم والآخر موضّح، وهذا كلّه جاء بأسلوب الإطناب.

ذكر أيضا في مقال آخر بعنوان: «ذكرى 8 ماي 1945» الإطناب قائلا: «أمة كالأمم حلت بها ويلات الحرب، كما حلّت بغيرها، وضاقت لباس الجوع والعري والخوف، وتحيفت الحرب أقواتها وأموالها وجرعت الثكلى أمهاتها واليتم أطفالها، وأكلت شبابها وقطعت أسبابها وصلّيت نار الحرب، ولم تكن من جنّاتها»[2]. ذكر الكاتب هنا ما يعانيه الشعب من ويلات الحرب، ثمّ خصصّ بذكره هذه المآسي وهي الجوع، والعري، والخوف، والثكل، واليتم... فالإطناب هنا جاء بذكر الخاص بعد العام لإفادة العموم.

2. الاقتباس والتضمين:

يتميّز أسلوب البشير الإبراهيمي بظاهرة الاقتباس والتي يعود مرجعها إلى كثرة الإطّلاع، «أسلوبه هو نفس الأسلوب، ولغته هي دائما تلك اللّغة التي تعني قاموسنا اللّغوي، لأنها استمدت منابعها من محيط اللّغة العربية منذ عصورها الأولى، وأسلوبه هو أسلوب البلغاء العرب منذ الجاحظ حتى عصرنا الحديث».[3] بالإضافة أيضا إلى حفظه للقرآن الكريم منذ سن السابعة وبعض كتب الحديث النبوي الشريف.

[1] – محمد البشير الإبراهيمي:عيون البصائر، ص652.

[2] – المصدر نفسه ، ص 370.

[3] – عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 1974، ص176،177.

أ- القرآن الكريم:

ترعرع الإبراهيمي في وسط عائلي متدين متشبع بالثقافة الإسلامية وهذا ما جعل منه رجلا مصلحا اجتماعيا، فاستقى مادته الأولى من القرآن الكريم وجعله مصدرا يستقي منه مختلف العبارات والألفاظ لتدعيم حججه وإطلاق أحكامه.

سنوضح بعض الأمثلة الدّالة علة تأثره بالقرآن الكريم واقتباسه منه، ففي مقاله بعنوان: «سجع الكاهن»، يقول: «لا أقسم بذات الحفيف، والجناح الخفيف... بالمغيرات صبحًا عليها التلافيف»[1]، فعبارة "لا أقسم" لم نعرف لها وجود إلا في القرآن الكريم، وكذلك بالنسبة لعبارة: "فالمغيرات صبحا" اقتبسها من قوله تعالى في سورة العاديات: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً (2)فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً (3)﴾ سورة العاديات الآية 03-

وظف الإبراهيمي الاقتباس أيضا في موضع آخر في مقاله بعنوان: "حقوق الجيل الناشئ علينا"، يقول: «... ثمّ رجع بصره فإذا ذئاب تتخطف وصوالح تتلقف، وطفيليات أنبتها الدهر في دمنته، ثمّ رجع البصر كرّتين فإذا أمامه مسافات مما قطع السائرون...»[2]، نلاحظ في العبارة اقتباسا من قوله تعالى حين دعا الإنسان أن يتدبّر في عظمة خلق الكون ليدرك ضعفه، يقول عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3)ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ (4)﴾ سورة الملك الآية 03،04-

أورد أيضا في مقاله بعنوان: "أعراس الشيطان" الاقتباس قائلا: «... كلّه رجس من عمل الشيطان...»[3]، وهذا اقتباس من قوله تعالى في تحريم الخبائث، يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)﴾سورة المائدة، الآية -90-

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص597.

[2] - المصدر نفسه، ص302.

[3] - المصدر نفسه، ص355.

ب- الحديث النبوي الشريف:

ثاني منبع استقى منه الإبراهيمي خطابه، وهو ما يدل على اهتمامه الكبير بالسيرة المحمدية التي استعان بها لتوضيح أفكاره، ومن أمثلة ذلك في مقاله بعنوان: "أثر الصوم في النفوس"، يقول: «في كلّ فريضة من فرائض الإسلام الامتحان لإيمان المسلم، ولعقله، وإرادته، ودع عنك الأركان الخمسة... غير أن الصوم أعسرها امتحانا، لأنّه مقاومة عنيفة لسلطان الشهوات الجسمية، ومقاوم الشهوات في نفسه أو في غيره قلما ينصرها».[1] لقد استمد هذه العبارة من قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿الصيام جنة فلا يرقب ولا يحمل، وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل إني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجله، الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة... بعشر أمثالها﴾[2]

3. الخبر والإنشاء:

يعرّف الخبر على أنّه: « الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب»[3]، وقد يكون للخبر أغراض أخرى وهي: الأمر، النهي، المدح، الذم، التعظيم، التحقير...، أما أهل العربية من النحاة فيذهب إلى أن الإنشاء هو: « الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب، وهو نوعان: طلبي: وهو ما يستدعي مطلوبا غير حامل وقت طلبه إمّا بالأمر، أو النهي، أو الاستفهام، أو التمني، أو النداء، وغير طلبي: وهو لا يستدعي مطلوبا وأساليبه كثيرة منها: المدح، والذم، والتعجب، والرّجاء، والقسم»[4].وكل هذه الأغراض يفهمها القارئ من سياق الجملة.

وظف البشير الإبراهيمي في مقالاته "عيون البصائر" الأساليب الخبرية سواء المؤكدة منها أو غير المؤكدة، حسبما يقتضيه المخاطب، فهو لا يسعى إلى الأخبار فحسب، بل إلى تنمية القارئ إمّا بالأمر، أو النهي، أو المدح، أو الذم....

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي:عيون البصائر، ص538،539.

[2] – صحيح البخاري: ألفية الإمام الشيخ البخاري، الدار الذهبية للطباعة والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، ص389.

[3] – عمر فاروق الطّباع: الوسيط في قواعد الإملاء والإنشاء، مكتبة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ، 1993م، ص144.

[4] – عبد العزيز علي الحربي: البلاغة المسيرة، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1432هـ، 2011م، ص42.

أ- الخبر:

سنورد فيما يلي بعض الأمثلة عن الأسلوب الخبري في مقالات البشير الإبراهيمي، يقول في مقاله بعنوان: "فصل الحكومة على الدين": « إنّنا نريد لقضائنا حرمة ومكانة، ونريد لرجاله سمعة ومنزلة...».[1] ففي هذه العبارة يخبرنا الإبراهيمي عن آماله في إصلاح القضاء ورجاله، فقد أدّى الخبر هنا غرض التمنّي.

يقول أيضا في موضوع آخر من مقاله بعنوان: "ثلاث كلمات صريحة":

«العلم... العلم... أيّها الشباب لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب...».[2] نلاحظ أنّ هذه العبارة خبريّة منفية بأداة النفي (لا)، مع أن المقصود هو النّهي، فغرض الخبر هنا النّهي.

يقول أيضا في مقاله بعنوان: «الكلمة الأخيرة للأمة»: «والله، والله، ألية المسلم البر، لا يرجو الخير من الاستعمار إلا من خولط في عقله...»[3]، فقد استخدم هنا البشير القسم لتوكيد الخبر، وغرضه هنا إعلام الناس أنه لا خير في الاستعمار.

يؤكد الإبراهيمي كلامه في مقاله بعنوان: «» بمؤكدين اثنين، ويعبر من خلالهما عن تحسره على انحطاط الأمة بسبب المنافقين ، يقول: «وإنّ لنؤدّي اليوم ثمنه غاليا»[4]، فالمؤكدين في هذه العبارة هما: "إنّ" و"لام الابتداء"، فالخبر هنا غرضه التحسّر.يقول البشير مخاطبا المعلمين في مقاله بعنوان: «كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار»: «أنتم حراس هذا الجيل الجديد، والمؤتمنون عليه، والقوّامون على بنائه».[5]هذه الصّفات التي يصف بها الكاتب المعلّمون تشريفا لهم، فجاء أسلوب الخبر هنا لغرض المدح.

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص129.

[2] - المصدر نفسه، ص350.

[3] - المصدر نفسه ، ص321.

[4] - المصدر نفسه، ص210.

[5] - المصدر نفسه، ص299.

وظف الإبراهيمي في مقالاته "عيون البصائر" الأساليب الإنشائية، والتي تؤدي وظيفة ما، سواء على وجه الحقيقة أو المجاز، وهذا الأخير يخفي مدلولا يريد الكاتب إيصاله للقارئ بدقة وجمالية، فكلاهما يعرفان من الخلال السياق الوارد فيه أسلوب الإنشاء.

ب- الإنشاء:

يعد الاستفهام من أغراض الإنشاء الطلبي، فقد أورد الإبراهيمي في مقالاته الاستفهام بكثرة وله أغراض أخرى، فعلى سبيل المثال يقول في مقاله بعنوان: «دعوة مكرّرة إلى الاتحاد».: «فهل من يد جريئة تزيل ذلك الغطاء البغيض؟»[1]، يدعوا في هذا المثال رؤساء الأحزاب إلى نبذ الفرقة والتشتت، والاستفهام هنا يفيد التمني في اتحاد الأمّة.

يورد أيضا في مقاله بعنوان: «القضية ذات الذنب الطويل» أسلوب الاستفهام في قوله: «فهل عَزَمْتَ على قطع الذّنب؟»[2] فغرض الاستفهام هنا هو الأمر.

استعمل الإبراهيمي كذلك في مقالاته أسلوب الأمر بشتى صيغه فهو يقول في مقاله بعنوان: «استهلال»: «اللّهم يا ناصر المستضعفين انصرنا، وخذ بنواصينا إلى الحق، واجعل لنا في كل غاشية من الفتنة ردعا من السّكينة».[3] قصد من هذه العبارة الدعاء الذي جاء بصيغة فعل الأمر، ويقول أيضا في نفس المقال: «اللّهم باسمك نبتد وبهديك نهتد وبك يا معين نسترشد ونستعين، ونسألك أن تكمل بنور الحق بصائرنا».[4] فهذه العبارة دعاء ، جاء على صيغة فعل الأمر.

وظف أيضا النّداء في مقالاته، وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية التي لها عدّة أغراض تفهم من سياق الكلام، ومن أمثلته قوله في مقاله بعنوان: «فلسطين: العرب واليهود في الميزان عند

[1]- محمد البشير الإبراهيمي:عيون البصائر ، ص340.
[2] - المصدر نفسه ، ص190.
[3]- المصدر نفسه ،ص190.
[4] - المصدر نفسه، ص15.

الأقوياء»: «يا بخس فلسطين!... أيبيعها من لا يملكها ويشتريها من لا يستحقها؟ يا هوان فلسطين!».[1] يفيد معنى النداء في هذه العبارة التحسّر فهو يتألم عن تخلي العرب عن فلسطين.

استعمل كذلك في مقالاته النهي، فيقول في مقاله بعنوان: «كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار»: «لا تعمّروا أوقاتهم كلّها بالقواعد فإن العكوف على القواعد، هو الذي صيّر علماءنا مثل "القواعد"».[2] فقد أفاد أسلوب النهي هنا الإرشاد، فهو يوصي المعلّمين بضرورة تجنّب طرق التدريس القديمة.

ج –القصر:

يعرّف القصر بأنه: «تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وهو نوعان: القصر الحقيقي، وغير حقيقي، وكل واحد منهما ضربان: قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف»[3]، وله أركان ثلاث هي: المقصور، والمقصور عليه، وأداة القصر، ولئن كان: «الاختصاص أو التخصيص هو الغرض الأساسي للقصر»[4]، فإن له أغراضا أخرى كالمبالغة، والمدح والذم والتعريض.

أكثر الإبراهيمي من استعمال أساليب القصر في مقالاته لتحقيق هذه الأغراض ومن أمثلته نذكر:

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي:عيون البصائر ، ص 503.

[2] – المصدر نفسه ،ص300.

[3] – الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمّد: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، 1424هـ، ص98.

[4] – مختار عطيّة: التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، دس، ص83.

يقول في مقاله بعنوان: "كلمتنا عن الأئمة": «وما جعل القرآنُ المساجد لله إلاّ لتكون متبعًا لهدايته.»[1]، حيث أفاد القصر هنا التّأكيد على رسالة المسجد وهي نشر الدين الإسلامي.

ورد أيضا القصر في مقاله بعنوان: "قضية فعل الدين: نظرتنا إليها"، قائلا: «وما أعمارنا في عمر الإسلام إلا دقيقة من دهر».[2] وقد جاء أسلوب القصر هنا لغرض التّعريض بقِصرِ حياة الإنسان الفرد أمام حياة الأمة.

نجده استعمل القصر كذلك في مقاله بعنوان: "التقرير الحكومي العاصمي"، كقوله: «... وجماعة المسلمين لا تكيد لدينها بل تنصح وتسدد وتقارن...»[3]، وهو قصر موصوف على صفة بالعطف (بل)، حيث قصر جماعة المسلمين على النّصح والتّسديد والمقارنة وفيه مدح لهم.

يقول في مقاله بعنوان: "قضية فصل الدين... ومن فروعها صوم رمضان": «فإنّ هذه الحكومة لا تعمل عملاً إلاّ وله غاية وعاقبة، ثمّ لا تكون الغاية إلاّ هدمًا لركن من أركان ديننا.»[4]، فالغرض من أسلوبي القصر هنا هو ذمّ الحكومة المحتّلة بتخصيصها دون غيرها بقيامها بأعمال دنيئة تعود بالخسارة للأمّة.

ونجده يستعمل القصر من أجل المبالغة في مقاله بعنوان: "إضراب التلاميذ الزيتونيين"، في قوله: «... إنّما عقولكم أسلحة للحرب الفاصلة بين الخير والشرّ...»[5]، فقد بالغ الكاتب في حصر السّلاح في العلم، إذ أن أسلحة الحرب لا تقتصر على العقول فحسب، بل يمكن أن تكون مالاً أو عدّة أو عتادًا أو إيمانًا...

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص204.
[2] – المصدر نفسه، ص164.
[3] – المصدر نفسه، ص75.
[4] – المصدر نفسه، ص176.
[5] –المصدر نفسه ، ص462.

مما تقدم نستنتج أن الإبراهيمي عند استعمال القصر من أجل إعطاء المعنى أكثر قوة وجمالا وتوظيفه في أغراض أخرى حتى يصبح للعبارة دلالات أخرى تخرج عن وظيفتها الأصلية ،وذلك عن طريق: الاقتباس، والقصر، والإنشاء والإيجاز. وهذا حسب الموضوع المتناول.

ثالثا: التصوير الفني والتخييل في "عيون البصائر"

تتألف البلاغة العربية من ثلاثة علوم هي: «المعاني والبيان، والبديع وميدان البلاغة التي تعمل فيه العلوم الثلاثة متضافرة مع بعضها البعض»[1]. فالأسلوب المتميز المبتدع هو الذي يؤدي إلى البلاغة، وهكذا «تكون الفنون البلاغية كلها فنونا لتحقيق درجة الإبداع، فالشبيه والكناية والمقابلة وغيرها ومن الفنون إنما هي أوعية يصب فيها الفنان ابتكاره وإبداعه ونبوغه».[2]فالقارئ لمقالات البشير الإبراهيمي يجد أنه قد وظف البلاغة بمواضيعها المختلفة من محسنات بديعية وصور بيانية، وهذا لتكون كلوحة فنية رسمتها عبارته، تكامل فيها الشكل والمضمون.

إن استعمال الإبراهيمي للبيان العربي كان نابعا من قدرته على التصوير، وخياله الواسع، فلم يكن استعماله تقليدا للعصور الماضية بل صار وسيلة لتنمية الكلام، وتزيينه لذاته، وجاءت مقالات الإبراهيمي مثقلة بالبيان والبديع وهذا ما سنراه فيما يلي:

1. المحسنات البديعية:

تعد المحسنات البديعية من الأساليب التعبيرية التي لا يدرك قيمتها الفنية إلا المبدعون والنقاد، والبلاغيون، فالبديع في الكلام يجلب المتلقي إلى الاستماع بلذة وانتباه، ويستجيب سريعا إلى المضمون، بسبب افتتانه بجمال لغة المبدع، «فهو جاحظ عصره وبديع زمانه مما جعله يحقق معجزة من معجزات الثقافة العربية الإسلامية في القرن العشرين»[3]سنوضح أنواعه:

أ- الجناس:

يعرف بأنه «أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى، وهو نوعان: الجناس التام: وهو ما اتفقا فيه اللفظان في أمور أربعة: نوع الحروف، شكلها، عددها، ترتيبها، الجناس غير التام: ما اختلف في

[1] – عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.س)، ص05.

[2] – منير سلطان: البديع، تأصيل وتجديد، منشأة معارف، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1986م، ص20.

[3] – عبد الرحمان شيبان: الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللّغة العربية، مجلة الثقافة، دار الأمّة، ع87، 1985م، ص73.

اللفظان في واحد من الأمور السابقة»[1]، ولقد مزج الإبراهيمي في هذا اللون البديعي بين نوعيه التام والناقص، وهذا دليل على وفرة رصيده اللغوي، وتأثره، ومن أمثلته نذكر ما يلي:

- **الجناس التام:**

يورد في مقاله بعنوان: «فصل الحكومة عن الدين» بقوله: «...حقيقة ...إن بعض القضاة أعوان للقضاء على القضاء»[2]، فجاءت لفظة "القضاء" الأولى بمعنى المحور، والثانية تعني الهيئة الشرعية للفصل بين المتخاصمين.

استخدم أيضا في مقاله بعنوان: "معهد عبد الحميد بن باديس" «وسنجليها في البصائر لذوي البصائر»[3]، حيث تعني لفظة البصائر الأولى الجمعية، أما الثانية فهي جمع بصيرة وتعني الإدراك والعلم. فهو جناس تام.

وظف كذلك في مقاله "جمعية العلماء: أعمالها ومواقفها" في قوله: «... يريد الاستعمار أن يقتلع جذور هذه الأمّة من تربة، ويغرسها في تربة، فتأتي مضعوفة هزيلة»[4]، حيث تعني لفظة "تربة" الأولى الأصول أما الثانية، فنقصد بها الأرض، ونوعه جناس تام.

- **أما الجناس غير التام فنجده كالآتي:**

أورد الإبراهيمي الجناس غير التام في مقاله بعنوان: "إلى أبنائي الطلبة" بقوله: «فإن الوطن يرجوا أن يبنى بكم جيلا قوي الأسر، شدّيد العزائم، سدّيد الآراء».[5]

فالجناس في لفظتي سديد وشديد حيث اختلفا في حرف السين والشين.

وفي مقاله بعنوان: "الحقائق العريانة" قوله: «... بالإرث الطبيعي من الأصول السامية، إلى الفروع النامية»[6]، الجناس غير التام في لفظتي "السامية" و"النامية"، مختلفتان في حرف السين والنون.

---

[1] – علي الجارم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.س)، ص242.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ، ص129.

[3] – المصدر نفسه، ص282.

[4] – المصدر نفسه ، ص33.

[5] – المصدر نفسه ، ص217.

[6] – المصدر نفسه ، ص21.

كما يورد الجناس غير التام في مقال بعنوان: "هل دولة فرنسا لائكية" في قوله: «وتضار في ألسنتهم كلمة "الهادي" بكلمة "الفادي"»[1]، لفظتي الهادي والفادي فهو جناس غير تام.

مما تقدم يمكن القول بأن الإبراهيمي أكثر من استخدام هذا اللون البديعي وهو الجناس بنوعيه "التام والناقص" وهذا ما زاد العبارة رونقا والإيقاع طربا، ما جعل لغته تتميز بمسحة جمالية فريدة.

ب- السجع:

وظف العرب السجع بكل أنواعه، من شعر ونثر منذ العصر الجاهلي حتى الآن «ولقد كان يستخدم في أقوال الكهان والخطب الوعظية والصلوات والأمثال والحكم، والرسائل، والمقامات، والتراجم، والتواريخ، ومنذ القرن العاشر إلى القرن العشرين، وعناوين الكتب كلها تقريبا تكتب سجعا»[2] يعرف السجع على أنه: «تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد»[3].

وظف الإبراهيمي هذا اللون البديعي في مقالاته بشكل كبير على النحو التالي:

يورد في مقاله بعنوان: "استهلال" قوله: «اللّهم باسمك نبتدي، وبهديك نهتدي».[4] نلاحظ أن السجع ورد في لفظتي "نبتدي" و"نهتدي" فقد اتفقا في الروي وهو الدال مما ولد موسيقى خاصة.

وفي مقاله بعنوان: "مدارس جمعية العلماء" قوله: «هذا الوطن الذي طال في الجهل لبله، وأقام بالأمية ويله»[5]، اتفقت اللفظتان في الوزن وحرف الروي اللام.

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص83.

[2] – ديجن ستيوات: السجع في القرآن، تر: ابراهيم عوض، مكتبة الزهراء الشخرق، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1998م، ص05.

[3] – جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني الخطيب: التخصيص في وجوه البلاغة، دار الفكر العربي، ط1،1904، ص404.

[4] – محمد البشير الإبراهيمي،المصدر السابق، ص15.

[5] – المصدر نفسه، ص283.

ورد أيضا السجع في مقاله بعنوان: «ثلاث كلمات صريحة إلى الأمة»

قوله: «أن تكون صلة متينة وواسطة أمينة.»[1]، كلمتي متينة وأمينة متفقتان في الوزن وحرف الروي.

كما استخدم في مقاله: "المعهد الباريسي" بقوله: «... وطنية التزوير والتظليل والتزمير والتطبيل»[2]، يظهر السجع في كلمتي التزوير والتزمير وقد اتفقا في الوزن وفي حرف الروي "الراء"، وكذلك التظليل والتطبيل، اتفقا في الوزن وفي حرف الروي "اللام".

وفي مقاله: "من وحي العيد"، قوله: «وعلى حياة تجمع الشرفوالترف»[3]. ورد السجع في كلمتي: الشرف، والترف، وقد اتفقا في الوزن، وفي حرف الروي "الفاء".

نستنتج بأن استخدام الإبراهيمي للسجع قد ساهم في إضفاء مسحة جمالية على لغته، من أجل تبليغ فكرته وتناسق الفواصل المسجوعة وهو ما شكل لوحة فنية تكشف لنا عن أحاسيسه وعواطفه.

ج- الطباق:

يعد الطباق منذ القديم إلى الحديث، من الفنون البلاغية التي اهتم بها البلاغيون، وقد ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف، وشعر العرب ونثره، على ما يدل على قيمته إذ: «يؤتى بالمطابقة في الكلام إذا كانت الفكرة تقتضيها والموقف يتطلبها، وليس لمجرد الصنعة اللفظية وهي حينئذ تفضي على الكلام جمالا ورونق، وتزيده حسنا وقبولا».[4] ومن ثم يعرف الطباق على أنه: «الجمع بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل التضاد أو الإيجاب»[5]. له نوعان هما: «طباق الإيجاب: الذي

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ، ص349.

[2] –المصدر نفسه ، ص31.

[3] – المصدر نفسه ، ص544.

[4] – عبد العاطي غريب علام: دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قان يونس، بن غازي، ليبيا، (د.ط)، 1997، ص170.

[5] – أحمد آدم ثويني: البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ، 2007م، ص314.

لا يختلف فيه الضدان ثباتا ونفيا، طباق السلب: يختلف فيه الضدان ثباتا ونفيا»[1]، اهتم الإبراهيمي بالطباق كثيرا وبنوعيه ومن أمثلة طباق الإيجاب ما يلي:

ورد الطباق في مقاله: "إلى أبنائي الطلبة" بقوله: «ووصلتم به سواد الليل، ببياض النهار»[2]، فالطباق هنا سواد ≠ بياض

الليل ≠ النهار

وفي مقاله: "التعليم العربي" بقوله: «... فوجدنا الحكومة تسير على من رضيت عنه، وتعسر على المغضوب عليهم»[3]

الطباق هنا في لفظتي: تيسير≠ تعسير

وفي مقاله بعنوان: "حدثونا عن العدل فإننا نسيناه [3]" «كيف يسعد الأقوياء، بشقوة الضعفاء»[4]، فالطباق في كلمتي "الأقوياء" و"الضعفاء" وهو طباق إيجاب.

واستخدم أيضا الطباق في مقاله: "عبد الحي الكتاني" ما هو؟ ما شأنه؟

قائلا: «... منها الحق، ومنها الباطل...»[5]، فالطباق في الحق ≠ الباطل طباق إيجاب.

ومن أمثلة طباق السلب نذكر ما يلي:

ورد في مقاله بعنوان: "أهذه هي المرحلة الأخيرة من قضية: فصل الحكومة عن الدين".

يقول: «كلّ هذا ونحن لا نريد لهم قطع المرتب، وإنّما نريد لهم تثبيته...»[6]، ورد الطباق السلب في لفظتي لا نريد ≠ نريد

استخدم أيضا في مقال بعنوان: "قضية فصل الدين.... خصمان... فمن الحكم...؟"

---

[1] – محمد أمين الضناوي: معين الطالب في علوم البلاغة، علم المعاني، البديع، البيان، در الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص140.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر،ص216.

[3] – المصدر نفسه، ، ص216.

[4] – المصدر نفسه، ص414.

[5] – المصدر نفسه، ص615.

[6] – المصدر نفسه ، ص158.

بقوله: «... فنحن لا نسكت حتى تنصف وهي لا ترضى حتى نسكت»[1]

فالطباق في كلمتي: لا نسكت ≠ نسكت

يقول أيضا في مقاله بعنوان: "اللّغة العربية في الجزائر ...عقلية حرّة ليس لها ضرة"

«... تسليم الاحترام، لا تسليم الاجترام...»[2] نجد طباق السلب في لفظتي تسليم ≠ لا تسليم.

نستنتج بأن الإبراهيمي اهتم كثيرا بتوظيف الطباق بنوعيه "السلب والإيجاب" في مقالاته؛ كونه يسهم في توضيح الفكرة المراد توصيلها، فكثيرا ما تكون الكلمة الواردة في كلامه صعبة الفهم للقارئ فيجعلها سهلة عند سماع نقيضها، وهذا ما ساهم في إضفاء الجمالية على لغته، من جمال العبارات وعذوبة الموسيقى التي ترّن في الأذن.

د- المقابلة:

برزت المقابلة كأداة فنية في فن القول: «شعرا ونثرا عند العرب القدماء منذ العصر الجاهلي، وكانت من أدوات الأسلوب القرآني في آيات محدّدة.»[3]،وتعرف على أنها: «فيها معنى الطباق ولكنّها تخالفه من حيث أنّها تقابل بين معنيين متفقين أو أكثر، وبين ما يقابل ذلك على الترتيب».[4]فهي لا توظف لتحسين الأسلوب فقط، وإنما هي قطعة فنية لا يستغني الكاتب عنها لإيصال معانيه للقارئ.

وظف الإبراهيمي المقابلة في مقالاته بكم أقل من السجع، والجناس، والطباق، باعتبارها تستلزم الترتيب والتناسق، ويختلف هدف توظيف الإبراهيمي للمقابلة حسب المعنى المقصود ومن أمثلته نذكر:

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ، ص 179.

[2] - المصدر نفسه ، ص222.

[3] - شفيع السيّد: أساليب البديع في البلاغة العربية، رؤية معاصرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2006م، ص34.

[4] - رجاء السيد الجوهري: فنّان البديع، الشاعر ابراهيم بن هرمة القرشي، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط،دس، ص290.

وردت المقابلة في مقاله بعنوان: "قضية فصل الدين: الحج" يقول: «... فهذه تعطي وتلك تمنع، وهذه توّسع وتلك تضيق».[1] وجاءت المقابلة هنا بين «تعطي، تمنع» و«توسع، تذيق».

في مقاله أيضا بعنوان: "حكمة الصوم في الإسلام". بقوله: «إنّ رمضان يحرّك النفوس إلى الخير، ويسكنها عن الشر»[2]، وردت المقابلة بين «يحرك، يسكن» و«الخير، الشر».

استخدم كذلك في مقاله بعنوان: "إلى أبنائنا المعلمين الأحرار"، قائلا: «...إنّنا – يا أبنائي- كنّا أول من نام، وآخر من استيقظ»[3]. وقد قابل الإبراهيمي "أول، آخر" و"نام، استيقظ"، ويهدف هذا اللّوم إلى توعية الشباب بضرورة الحراك.

وردت أيضا في مقاله بعنوان: "فصل الدين عن الحكومة" يقول: «لنخرج من الأقوال إلى الأعمال، ومن الافتراق إلى الاجتماع، ومن التفريط إلى الحزم، ومن المهاودة إلى التصميم، ومن المطاولة إلى الانجاز، ومن التخاذل إلى التناصر... ومن السلب إلى الإيجاب».[4] وقد وردت المقابلة في: "الأقوال، الأعمال" و"الافتراق، الاجتماع"، "التفريط، الحزم"، "السلب، الإيجاب".

مما تقدم يمكن القول بأن الإبراهيمي بالرغم من أنه قد وظف المقابلة بكم أقل من السجع والجناس، والطباق إلا أنها قد ساهمت أيضا في تأكيد المعنى وتوضيحه، لأنّ الضد أوضح في الدلالة على المعنى من الشبه، وهذا ما زاد على لغته مسحة جمالية تميزه عن غيره من الكتاب.

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص59.
[2] – المصدر نفسه ، ص573.
[3] – المصدر نفسه ، ص288.
[4] – –المصدر نفسه ، ص95.

2- الصور البيانية:

إن من يقرأ للإبراهيمي يكشف عوالم من الخيال مخبأة وراء لغته القوية سحرا وبيانا، فأساليبه البيانية المألوفة منها والغريبة نابعة من مصادر التراث المختلفة، فهي توطد العلاقة بين القارئ ومضمون المقالة بصورة متينة ،وظف الإبراهيمي فنون البيان الأربعة من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية بصورة كبيرة مما يدل على اطلاعه الواسع على أساليب البلاغة المختلفة، فقد نالت الاستعارة في مقالاته حصة الأسد لما لها من وقع في القلب وتأثير في الأذهان ، وسنوضح فيما يلي بعض الأمثلة على كل نوع منها:

التشبيه:

يعرف بأنه: «بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة المفهوم في سياق الكلام».[1] وهذا يعني أن المتشابهين ليسا متطابقين في كل شيء، وللتشبيه ثلاثة أركان وهي: المشبه، المشبه به، ووجه الشبه، والأداة.

استعمل الإبراهيمي التشبيه بأنواعه المختلفة بدرجات متفاوتة حسب الغرض وأمثلة ذلك ما يلي:

في مقاله بعنوان: «مدارس جمعية العلماء» بقوله: «نجوم متألقة في ليل الجزائر الحالك، منها الكبيرة ومنها الصغيرة»[2]، هنا ورد تشبيه بليغ، حيث شبه الإبراهيمي المعلمين بالنجوم المتألقة في السماء والمضيئة في الليل وحذف أداة التشبيه، وهذا لإيضاح معنى العلم نور والجهل ظلام.

ورد التشبيه في«التعليم العربي والمساجد وأوقافها » بقوله: «إن الأمة الإسلامية ترى أن المساجد والأوقاف هما مسألة واحدة لا يمكن الفصل بينهما كالشخص وظلّه...»[3]، حيث شبه الإبراهيمي هنا المساجد والأوقاف كصلة الإنسان بظله حيث لا ينفصلان أبدا، فكان غرضه الإقناع.

---

[1]- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة، البديع والبيان، والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2008م، ص143.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص283.

[3]- المصدر نفسه ، ص29.

وفي مقالة«الحقائق العريانة». يقول:

«... والاستعمار سل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح..»[1] شبه الاستعمار بمرض السل والغرض منه التنفير من الاحتلال وذلك بذمه.

نستخلص مما تقدم بأن الإبراهيمي قد استخدم التشبيه في مقالاته لغرض أساسي وعقد مقارنة بين شيئين كون الفكرة التي يدل عليها أكثر بيانا وأوضح دلالة من التعبير عن المعنى مباشرة وهذا ما أضفى مسحة جمالية.

أ- المجاز:

إن المجاز قول جميل يلمح به الكاتب البارع إلى معنى باستعمال معنى آخر، وهذا الأخير فيه: «تخلص من قيد العبارة وضيقها، وشعور بحرية الشاعر أو الأديب؛ لأنه يصب المعاني في القوالب التي يتصورها خياله، والأشكال التي يستسيغها ذوقه»[2]، يعرفه علماء البلاغة بأنه: «الكلمة التي خرجت عن استعمالها اللغوي لعلاقة بين ما وضعت له وبين ما خرجت إليه»[3]، حيث يجعل في العبارة إبداعا فنيا لا يؤديه الكلام العادي إذا استعمل على وجه الحقيقة في كثير من الأحيان.

تتمثل أغراض المجاز بشكل عام في الإيجاز والإمتاع والمبالغة في التصوير لتأكيد المعنى وتوضيحه ،وقد وظف الإبراهيمي المجاز في مقالاته لتحقيق هذه الأغراض حسب الحاجة ومن أمثلة ذلك نذكر:

في مقاله بعنوان: «أعراس الشيطان»، يقول: «وأسأل الحقيقة تجبك عن نفسها»[4]، والمراد بسؤال الحقيقة؛ هو أصحابها العارفين بخباياها.

---

[1]-محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ، ص22.

[2]- بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 2003،ص98.

[3]- عائشة حسين فريد: البيان في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 2000م، ص130.

[4]- محمد البشير الإبراهيمي،المصدر السابق،ص356.

وظف أيضا في مقاله بعنوان: «محنة مصر محنتنا»، يقول: «علمت مصر –كما علم غيره– أن الشعار الكاذب لحرب 14-18 هو وعود المتحاربين للأمم الضعيفة»[1]، حيث أسند الفعل (علمت) إلى مصر، والمقصود هنا هو أهلها ساستها وقاداتها.

يقول كذلك في مقاله بعنوان: "عادت لعترها لميس" «هذا ما يقوله لسان الحكومة لصنائعها من أمثال العاصمي»[2]، ويقصد الإبراهيمي في هذا المجاز بأنّ اللسان قد أسند إلى الحكومة، والمقصود هنا ما تقوله الحكومة من تعليمات وكلام، وكان غرضه الإيجاز.

نستنتج مما تقدم بأن المجاز قد ساهم في تحقيق عدّة أغراض كالتلميح لا التصريح، وهذا ما زاد المعنى قوة وجمالا وأكثر إيجازا وتصويرا لتأكيد المعنى.

ج- الاستعارة:

تعرف على أنها: «تشبيه حذف أحد طرفيه، أو هي انتقال كلمة من بيئة لغوية معينة إلى بيئة لغوية أخرى وعلاقتها المشابهة دائما»[3]، وهي قسمان: «استعارة تصريحيه: ما صرح فيها بلفظ المشبه به، أمّا الاستعارة المكنية: ما حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه»[4]، حيث تشبه بلاغة الاستعارة بلاغة التشبيه في ناحيتي اللفظ، وابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان.

استخدم الإبراهيمي الاستعارة في مقالاته بشكل كبير، فهي ترمي إلى معاني عديدة، ومن أمثلته نذكر:

ورد في مقالة بعنوان: "مدارس جمعية العلماء المسلمين" يقول: «أفاقت الأمة الجزائرية إفاقة غير منتظمة لأن الأحداث التي سببت لها النوم حقنتها بأنواع شتى من المخدرات»[5]، فالأمة شبهها

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص557.

[2] – المصدر نفسه ، ص380.

[3] – يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ، 2007م، ص86.

[4] – أحمد مصطفى المراغي: علم البلاغة، البيان، المعاني، البديع، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.س)، ص238.

[5] – محمد البشير الإبراهيمي: المصدر السابق، ص285.

بإنسان مريض يحقن بالمخدرات عوض حقنه بالدواء، حيث حذف المشبه به وأبقى على لازمة من لوازمه لتدل عليه، وهي لفظة (حقنتها) على سبيل الاستعارة المكنية.

وظف كذلك في مقاله بعنوان: "القضية ذات الذنب... الطويل"، في قوله: «...والحكومة الاستعمارية هي زراعة الخلاف بينما، وهي التي تسقيه كلّما ذبّل وتغذيه كلّما ضّعف...»[1]، شبّه الإبراهيمي الخلاف بالنبات، فحذف المشبه به وأبقى على قرائن دالة عليه هي: زراعة، تسقيه، ذبل، على سبيل الاستعارة المكنية، حيث أدّت غرض تشخيص وتجسيد هذا الشيء المعنوي أي الخلاف.

أمّا الاستعارة التصريحية فقد جاءت في مقالات الإبراهيمي كالآتي: يقول في مقاله: "دروس الوعظ في رمضان"، «... ويسّرنا جميعا لخدمة هذا الوطن وإخراجه من الظلمات إلى النور»[2]، حيث شبه الإبراهيمي هنا الإسلام بالنّور، وحذف المشبه (الإسلام)، وشبه الجاهلية بالظلمات، وحذف المشبه (الجاهلية)، وصرح بالمشبه به وهما: النور، الظلمات، على سبيل الاستعارة التصريحية.

يقول أيضا في مقاله بعنوان: "إلى أبنائي الطلبة"، «وتصلون به مجاري التاريخ»[3]، حيث شبه هنا الماء بالتاريخ، وحذف المشبه أي (الماء)، وصرح بلفظ المشبه به وهو مجاري، على سبيل الاستعارة التصريحية.

نستنتج مما تقدم بأن الإبراهيمي قد وظف الاستعارة بنوعيها "المكنية و التصريحية" في مقالاته "عيون البصائر"، حيث زادت المعنى ابتكارا، نظرا لما تحدثه في نفوس سامعيها، ولما تتضمنه من تشبيه خفي مستور، فتعمل على إيضاح المعنى وتقريبه للقارئ وتضفي عليه مسحتا جمالية وصورة جديدة.

د- الكناية:

تعدّ الكناية من أهم مباحث علم البيان لاتصالها اتصالا وثيقا بخطابات العرب، فقد عرفت بأنها: «لفظ أريد به ملزوم معناه الوضعي، وتكون بترك التصريح بالشيء إلى مساويه في اللزوم لينتقل

[1]-محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ، ص195.
[2] - المصدر نفسه، ص317.
[3] - المصدر نفسه ، ص219.

منه إلى الملزوم»[1]، فالكناية إذن: «يتجاوز أثرها دلالة التركيب إلى مستويات دلالة النص كلّه»[2]، وهذا لكونها تخفي معاني عميقة تعمل على جذب انتباه القارئ وتشويقه.

نجد الإبراهيمي استخدمها في أكثر من موضوع حسب الحاجة ومن أمثلة ذلك ما يلي:

يقول في مقاله بعنوان: «مدارس جمعية العلماء»، «والأمة نامت نوما طويلا ثقيلا»[3]، وردت في هذه العبارة كناية عن الجمود والركود الفكري الذي فرضته سياسة فرنسا في الجزائر.

أما في مقال بعنوان: "فلسطين 4: ماذا نريد لها وماذا يريدون"، يقول: «وما بالهم هللوا بالتقسيم وطاروا به فرحا...»[4]. كناية عن صفة وهي شدة الفرح.

استخدم أيضا في مقاله بعنوان: "كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية"، يقول: «...والمحاكمات على التعليم جارية على قدم وساق في هذه الأيام»[5]، فالكناية في "قدم وساق" وهي كناية صفة عن العمل والجد.

وردت كذلك في مقاله بعنوان: "الدين المظلوم"، يقول: «... مظلوم من أهله... ومظلوم من هذه الحكومة ذات الألوان التي تحكم الجزائر بما تمليه القوة، لا بما يوحيه الحق»[6]، في هذا المثال كناية عن صفة في قوله: الحكومة ذات الألوان، ونعني بها التبدل والتغير.

مما تقدم نقول بأن الإبراهيمي وظف الكناية في مقالاته من أجل إعطاء المألوف معان جديدة يرمي إليها ويحققها في الكناية، حيث يكتشفها القارئ بذكائه وفطنته، ولما لها من وقع في القلب وتأثير في النفس.

---

[1] – مختار عطيّة: علم البيان وبلاغه: التشبيه في المعلقات السبعة، دراسة بلاغية، دار الوفاء لدينا الطباعة وللنشر، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2004م، ص129.

[2] – سعد أبو الرّضا: في البنية والدلالة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1987، ص171.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص285.

[4] – المصدر نفسه، ص507.

[5] – المصدر نفسه، ص87.

[6] – المصدر نفسه ، ص137

نستنتج مما تقدم أن الإبراهيمي بتوظيفه للبيان والبديع قد أثبت قدرته على استعمال فنون البيان في مواضعها المناسبة فأضفى على مقالاته تلك اللمسة الجمالية والبيانية، فحين يتطلب الموضوع منه التعبير البسيط والأسلوب المباشر قلل من التصوير البياني، وحينما تحرك فيه الموضوع مشاعر الحب، أو الكره، أو السعادة، أو الحزن والغبطة أو الحسرة... يتطلب منه الخيال أن يلفت انتباه القارئ حتى يصل على المعنى المقصود.

الفصل الثاني: أبعاد الرؤية في "عيون البصائر" لمحمد البشير الإبراهيمي

أولا : مفهوم الرؤية

ثانيا : الرؤية الاجتماعية

ثالثا : الرؤية السياسية

رابعا : الرؤية الثقافية

خامسا : الرؤية الدينية

الفصل الثاني: أبعاد الرؤية في «عيون البصائر» للبشير الإبراهيمي:

عاشت الجزائر تحت وطأة الاستعمار الغاشم ما يزيد عن القرن فذاقت منه كل أنواع التعذيب، والظلم، والتقتيل، إذ تفنن «المستعمر في تحطيمها والقضاء على مقوماتها الشخصية فلم يسلم منه أي منحى من مناحي الحياة، ولا مجال من مجالاتها، السياسية والدينية والاجتماعية، والثقافية، بل سعى إلى أكثر من وأخطر من ذلك، حين حاول القضاء على ديننا الإسلامي ومن ثم القضاء على الكيان الجزائري»[1]، فقد ركز المحتل على الجانب الديني وجعله هدفا له ،كونه أهم مقوم من مقومات الشخصية الجزائرية، «فالحملة الفرنسية كانت صليبية الأهداف والدوافع ،عملت على تشويه العقيدة، واستبدالها بعقيدة جديدة تبارك محتلها وغاصبها، وتمكنه من رقاب الشعب باسم الدين ومن حريته باسم الأمن، وتسخر أقلامها للدعاية له، والتنويه به والدعوة لطاعته»،[2]أما من الناحية الاجتماعية فقد فرض المحتل قوانين جائرة لا تخدم سوى مصالحها الخاصة حيث عملت على نشر الفقر، والبؤس، والجوع، وانتزاع الأراضي من الشعب، وفرض الضرائب.

أما الناحية الثقافية عمل الاستعمار على محو ثقافة الجزائريين، وجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الأم بدل اللغة العربية، ومن ثم التمسك بثقافة المستعمر والعمل على تحصيلها.

ومن هنا ظهرت إرهاصات جديدة تبشر بوجهة جديدة للحياة الدينية والفكرية والثقافية والاجتماعية، وتطلع نافذ إلى المستقبل، فكان ميلاد الحركة الإصلاحية الجزائرية والتي تعتبر «تعبير صادق عن الحاجات الملحة للمجتمع الجزائري فيما يتصل بالنشاط الثقافي والعلاقات الاجتماعية، والمتطلبات الاقتصادية والأحوال السياسية».[3]

يعد محمد البشير الإبراهيمي من الأوائل الذين اهتموا بالتعبير عن أحوال المجتمع الجزائري إبان الاستعمار، فقد وصف بأنه «المجاهد بالقلم». ويظهر هذا في مقالاته «عيون البصائر».

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامية، لبنان، ج2، ط2، 1989، ص89.

[2] – صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ص 12.

[3] – ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، عالم المعرفة، باب الزوار، الجزائر، ط2، 1430هـ، 2009م، ص 217.

أردنا في بحثنا هذا دراسة هذه المقالات، والتعرف على مختلف الرؤى التي عالجها الإبراهيمي، ومنها الرؤية الثقافية والتي تندرج في اللغة والعروبة والتعلم والهوية...، والرؤية الاجتماعية وتتمثل في البناء الأسري، والشباب، والطلاق، والزواج، والمرأة، أما الرؤية الدينية والتي تتعلق بالصوم، والحج، الهجرة النبوية...، أما الرؤية السياسية، فصل الدين عن الحكومة، فصل الحكومة عن الدين وحديثه عن العالم العربي، كقضية فلسطين وليبيا... إلخ.

يجمع تلامذة الإبراهيمي أن أهم ما كتب الإبراهيمي «عيون البصائر» أي الجزء الثالث من هذه الآثار، بما فيها من جهاد في سبيل الإسلام والعروبة، وبما فيها من مقارعة الاستعمار على شتى الأصعدة السياسية، والدينية، والثقافية...،وبما فيها من مناصرة لكل قضايا المسلمين مشرقا ومغربا، وخاصة قضية فلسطين، وبما فيها من روائع البيان العربي.

تبادر في ذهن الإبراهيمي أن يؤسس لمشروع يدخل الأمة الإسلامية في دائرة التقدم والتحديث، وينطلق من الإسلام؛ لأنّ الإبراهيمي الذي تأثر بأفكار الأفغاني ومحمد عبده، ورشيد رضا، مقتنع أن في الإسلام علاجا لكل أمراض المجتمع شريطة أن تستعمل معه الأسلحة الثلاثة وهي: العقل والعلم والعدل.[1]

لقد بدأ يطبق مشروعه بإنشاء مدرسة ومسجد، وحافظ على استقلاله بممارسة التجارة ورفض الوظيف هذا على الصعيد العملي، أما على الصعيد النظري فألقى سنة 1929م محاضرة بعاصمة الجزائر تحت عنوان «التعاون الاجتماعي» حدد فيها معالم مشروعه النهضوي في إطار النسق الإسلامي والذي يقوم على أعمدة أربعة: الدين والعلم والأخلاق والاقتصاد.

الدين: وهو دين الفطرة، الذي يرجع في أحكامه إلى النص القطعي من كتاب محكم أو سنة قولية أو عملية متواترة.

العلم: البحث في أنواع العلوم التي تصلح لنهضتنا فهو معدود من لغو الحديث واجتياح الحي إلى العلم في هذا الزمن أصبح قرين بإحتياجه إلى الطعام.

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي، ج1 (1929، 1940م)، تقديم وجمع أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص 13.

الأخلاق: وهي الأخلاق الإسلامية المتوارثة والتي نجد معظمها في القرآن، ثم الأخلاق العربية المأخوذة من آدابهم.

الاقتصاد: وقضى الله أن يصبح المال والعلم سلاحين لا يطمع طامع في الحياة بدونهما... والذي تقتضيه الحكمة الهادئة لتحفظ أنفسنا من هذه المزاحمة المريعة هو تأسيس (شركات التعاون بين الفلاحين وبين التجار) مصارف مالية صغيرة تكون واسطة بين الجميع.[1]

هذا المشروع النهضوي الذي حدد معالمه الإبراهيمي ينطلق من وعي كامل أن الجزائر تنتمي إلى الحضارة الإسلامية، وأن في كل حضارة ثابتا ومتحولا وأن المحافظة على الثابت وهو حفظ للشخصية الوطنية من الاستلاب.

وفي عام 1931م تأسست جمعية العلماء فأدرج الإبراهيمي مشروعه النهضوي في القانون الأساسي للجمعية الذي حرره في نفس السنة، وفي نفس نص أساسي صدر به سجل مؤتمر جمعية العلماء سنة 1931م والذي شرح فيه أسباب تأخر المسلمين وتقدم غيرهم، والذي حدد فيه شروط النهضة الجزائرية.

حذّر الإبراهيمي كذلك من المشروع التغريبي وحدد موقفا واضحا وصارما من الاستعمار والتبشير والاستشراق والاتحاد، والطرقية والخوافات، والتي تقف عائقا دون تحقيق المشروع الإسلامي.

يؤكد الإبراهيمي أن العلوم العصرية، هي إحدى الدعائم، لإنجاز مشروعه النهضوي، ويجب أن ننهل منها بدون عقدة.

المثقفون في نظر الإبراهيمي هم المسؤولون عن إنجاز مشروعه النهضوي، وعليهم الامتزاج بالأمة والاختلاط بطبقاتها.

طبق الإبراهيمي مشروعه النهضوي في حياته، إذ لقن العلم والدين والأخلاق، كمدرس بالمدينة المنورة ودمشق ثم كمدرس بسطيف، ثم كمدرس بتلمسان، ثم كزعيم حركة دينية وثقافية عظيمة بالقطر الجزائري.[2]

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي، ج1، ص 14.

[2] – المصدر نفسه، ص 15، 16.

يمكن القول أن الإبراهيمي استطاع بثقافته وموهبته أن يؤسس مشروعا نهضويا، ينبني على ثلاث ركائز هي الدين والعلم والأخلاق والتي بواسطتها تسير الأمة على نحو أفضل على جميع الأصعدة الفكرية والثقافية والعقائدية والسياسية... إلخ.

أولا: مفهوم الرؤية:

1-لغة

ورد في لسان العرب لابن منظور الرؤية:"من الفعل رأى ،الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد ،وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين ،ومنه رأى ،رأيا ، ورؤية ،وراءة ،مثل راعة ،وجمعها رؤى "[1]

وفي المعجم الوسيط "الرؤية ما رأيته في منامك ،وهي النظر بالعين وبالقلب،لكنها حقيقة في العين ومجاز في القلب "[2]

2-اصطلاحا :

تعرف الرؤية بأنها :"المشاهدة بالبصر "[3]،وقيل حقيقة الرؤية إذا أضيفت إلى الأعيان كانت بالبصر وقد يراد بها العلم مجازا بالقرينة "[4]، ومنه قوله تعالى" ألم ترى إلى ربك" سورة الفرقان الآية -45-

يمكن القول بأن الرؤية نوع من أنواع الإدراك ،وهي الفهم الشامل أو وجهة النظر التي يتخذها الكاتب أو الأديب لمعالجة مختلف القضايا السياسية والدينية ،والثقافية ،والاجتماعية .

---

[1]- ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري :لسان العرب ،م 4،ج27،دار المعارف ،القاهرة،دط،ص

[2]- الشيخ عبد الله البستاني :الوافي معجم وسيط للغة العربية ،مكتبة لبنان ،طبعة جديدة ،1990،ص219.

[3]- علي بن محمد بن علي الجرجاني :التعريفات ،تح :إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان ،ط1405،1 هـ،ص151.

[4]-أبو البقاء الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،تح ،عدنان درويش ،محمد المصري ،مؤسسة الرسالة،بيروت ،لبنان ،ط1419،1 هـ،1998م ، ص748

وللكشف عن تمثلات هذا المشروع وتجسيده العملي من خلال رؤيته الحضارية التي تكونت في مقالاته، سنفصل القول في أربعة جوانب أساسية لتلك الرؤية:

ثانيا: الرؤية الاجتماعية:

تعد البيئة الاجتماعية «التربة التي ينشأ فيها الأديب، وعلى قدر غنى وخصوبة هذه التربة تتغلغل جذوره في الأعماق، وتمتد فروعه في الآفاق، إذ توفر الفهم الصحيح لمهمّة الأديب ورسالته»[1]، ومن هنا كانت الحركة الأدبية «ذات صلّة وثيقة بالوضع الاجتماعي فقد كان الأديب دائما ضمير الأمّة، وصدى همومها وآمالها، ولسانها المعبّر عن معاناتها وطموحها »[2]، وقد كانت مقالات الإبراهيمي من أكثر المقالات تجسيدا لأبعاد الوثيقة الارتباط بطبيعة المجتمع الجزائري في تلك الفترة، ويرجع ذلك إلى سير الكاتب حسب أوضاع مجتمعه واحتكاكه الطويل بمختلف فئاته، فالمقالة الاجتماعية تصور ،«جوانب واقعيّة من عصر الكاتب وشؤون مجتمعه، ومظاهر إنبرى الإبراهيمي لمحاربتها، وفي مقدمتها الانحلال الخلقي والآفات الاجتماعية..»[3]، «الشباب والزواج»، «الطلاق»، «الشاب الجزائري»، «الصّداق وهل له حد»، وسنوضح ذلك في مجالين بارزين هما:

1-البناء الأسري:

يتتبع الإبراهيمي هذا البناء من أول مراحله، فهو يحث على الزواج؛ من حيث كونه تدريب على المسؤولية، كما أنّه يشدّ الرجل لوطّنه وأمته حيث يقول:«الزواج أعضل هذه المشاكل وأعمقها أثرا في حياة الأمّة»[4]، حيث يورد في مقاله بعنوان:«الشباب والزواج» قائلا:«إنّ الزوجة، والأولاد حبال تربط الوطنية بوطنه، وتزيد في إيمانه، وإنّ الإعراض عن الزواج فرار من أعظم مسؤولية في الحياة، ولمن تخدم الأوطان؟ إذا لم يكن ذلك لحماية من على ظهرها من أولاد وحرم، ومن في بطنها من

---

[1] – عمار بن زايد: النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر، د ط، 1990م، ص 54.

[2] – عبد الله حمّادي: أصوات من الأدب الجزائري الحديث، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1435هـ، 2014م، ص143.

[3] – حياة عمّارة: أدب الصّحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعدّدية، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1435هـ، 2014م، ص143.

[4] – عمر أحمد بوقارورة: بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي، قراءة في ظلّ البنية والمتغيّر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، دط، 2004، ص58.

رفات ورمم»[1]، يدعوا الإبراهيمي في هذا المقال إلى الزواج المبّكر وهذا نابع من وعي الكاتب بظروف المجتمع الجزائري، فالحاجة إلى التزايد عن طريق التناسل الشرعي من جهة، ثمّ إنّ الأسرة بما فيها من أولاد، تحتّم على الفرد حمايتها والحفاظ عليها، فهو يرى في الزواج تحصينا للشباب، ونوع من الحماية لهم في وقت تغشى فيه الفساد.

كما يرى الإبراهيمي بأن هذه العادة أبلغ الخطر في المجتمع الجزائري إذ يقول في مقاله بعنوان. «الصّداق... وهل له حد؟»، «... حتى صيرت الزواج الذي هو ركن الحياة، أعسر في الحياة»[2]، يرى الأديب من هذا المقال، بأنّ الفقير إذ قلّد الغني، لم يبق له شيء فالإبراهيمي قد وقف ضدّ هذه القضية بالترغيب والترهيب.

في مقاله أيضا بعنوان: «الشباب والزواج»، يقول:

«... ومنهم من يعتذر للعزوبة بأنّه لا يجمل به أن يتزوج من الجاهلات الأميّات، وعذرهم هذا يطوى أشياء يلوحون لها تارة، ويصرّحون بها أخرى وقد يزيغ بعضهم الزيغة الكبرى فيتزوج بأجنبية، ينفق عليها ما ينشأ ابنه عمّه خلقا جديدا»[3]، يرى الإبراهيمي في هذا المقال أنّ سبب إعراض الشباب عن الزواج هو تخبّط المرأة في مواقع الجهل والأميّة، مما يؤدي إلى نفور الشباب المسلم منها، ويخص هنا الشباب المثقف، وقد أدى جهل للمرأة في وقوع بعض الشباب في زلة كبرى تمثلت في إقبالهم على الزواج بالأجنبيات، وهذا ما يمثّل خطورة على الشخصية القومية.

يورد كذلك في مقاله بعنوان: «الطلاق» حيث يقول:

«ليت شعري أيدري المتساهلون في الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم، وعلى أمتّهم؟»[4]، اعتبر الإبراهيمي الزواج رابطا مقدّسا لا يمكن الاستهتار به، ولكن الحال كان غير هذا فكانت نسبة الطلاق تتزايد، وبالتالي كان يدعو إلى ضرورة لم الشمل مع الأسرة، لما في الطلاق من انعكاسات سلبية مأساوية، على الأطفال ثم الآباء، فالأمّة بأكملها.

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، مجموعة المقادير التي كتبها لافتتاحيات لجريدة البصائر خاصة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، السلسلة الثانية، من 1939 إلى 1944م، ص 327.

[2] – المصدر نفسه، ص 359.

[3] – المصدر نفسه، ص 324.

[4] – محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق ، ص 331.

2- موقف الإبراهيمي من الشباب:

يمثل الشباب الغالبية من أعضاء المجتمع، فهو الأساس الذي سيبني عليه التقدم في كافة المجالات، ففي مقالاته: «الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر»، وهي عبارة عن، «أحاديث وخواطر يتجلى فيها الإبراهيمي أبّا حكيمًا، ومربيّا ومجربًا، ووطنيًّا فاضلا، خبيرا، ومسلما مؤمنًا»[1]، فهو يتمنى أن يرى شباب الجزائر مقداما لما فيه صلاحه وصلاح وطنه، من عمل وعلم، ثمّ صلاح هذه الأمّة ككل.

ففي مقاله بعنوان: «الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر -1-» يقول:

«أتمثله متساميا إلى معالي الحياة، عربيد الشباب في طلبها... أتمثله... حلف عمل، لا حليف بطالة، وحلس معمل، لا حلس مقهى، وبطل أعمال، لا ماضغ أقوال... أتمثله برا بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالا، أتمثله مقبلا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع»[2]

يدعو الإبراهيمي في هذا المقال الشباب الجزائري إلى ضرورة استشراق المستقبل، وهذا يكون بالعلم والاجتهاد، لا بالبطالة، كما يحثهم أيضا على طلب العلم والمعرفة، والاقتداء بالعرب بحكم ارتباط هذا الشاب بأصله العربي، وفي استلهامه لتلك الصفات العربية تأكيد على ارتباط هذا الشباب بهويته الجزائرية.

وفي نفس المقال يقول: «... فأرخت أعصابه، وأنشت شمائله، وخنثت طباعه، وقيّدته بخيوط الوهم، ومجت في نبعه الطاهر السموم»[3]، يصوّر الإبراهيمي هناك تلك الحضارة العربية التي أغرت الشباب بقشورها.

وفي مقاله أيضا «كما تمثله لي خواطري -2-» يقول:

«أتمثّله محمّدي الشمائل، غير صّخاب ولا عيّاب، ولا مغتاب ولا سبّاب عفا عن مكارم الخلق ومحارم الخالق، مقصور اللّسان إلا عن دعوة الحق، أو صرخة في وجه الباطل، متجاوزا عما يكره من إخوانه،

---

[1] - عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب المعاصر (1925، 1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، (د، س)، ص 145.

[2] - البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ، ص 586.

[3] - المصدر نفسه ، ص 586.

لا تنطوي أحناؤه على بغضٍ ولا ضغينة»[1]، يرى الإبراهيمي هنا بأن الشباب الجزائري لا يحقق تلك الآمال، إلا إذا اقتدى بخير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، وامتثل لأوامره وسار على خطاه، كما يدعوه أيضا إلى ضرورة التحلي بالأخلاق الحميدة.

نستنتج بأن الإبراهيمي قد اهتم كثيرا بمعالجة مختلف المواضيع الاجتماعية، فهو يرسم للمسلم الطريق السوي لبناء مجتمع سليم قوامه الدين، لذلك فهو يتمنى أن يرى شباب الجزائر متقدما على ما فيه صلاحه وصلاح وطنه ثم صلاح الأمة الإسلامية، فكانت بذلك رؤيته تشع بالأمل والتفاؤل بغد أفضل ومستقبل زاهر يبنى بسواعد شباب، سلاحه العلم ومطيته العمل للنهوض بالوطن نهضة حقيقية.

[1] – البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ، ص 588.

ثالثا :الرؤية السياسية:

اتسمت الرؤية السياسية عند الإبراهيمي وغيره من المصلحين بالجرأة والشجاعة في الطرح، فقد كان «للكتاب الجزائريين خلال هذه الفترة، وكتاب المقال بوجه خاص جرأة عجيبة في قول الحق، وتجرؤ غريبا على الاستعمار»[1]، وهذا راجع لخطورة «تحول الوجود الفرنسي من احتلال عسكري متسلط إلى استعمار مقيم يهدد الكيان الجزائري، فتحولوا من متفجعين ومحسسين على الجهاد إلى أصحاب دعوة للوعي السياسي والقومي»[2]، والمتتبع لمقالات الإبراهيمي يدرك أنه عالج القضايا السياسية وفق مستويين هما:

1-المستوى الداخلي:

أ- الحرية:

أول القضايا السياسية التي أثارها الإبراهيمي هي الحرية وكثيرا ما ربط بينها وبين الحياة، فلا تقوم إحداهما إلا بالأخرى يقول في مقاله بعنوان«الحقائق العريانة:» «جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب المناعة في الجسم الصحيح»[3]. فالاستعمار في نظره مرض عضال يؤدي حتما إلى الموت لذا وجب مجابهته واستئصاله من جذوره.

ب- قضية فصل الدين عن الحكومة:

القارئ لمجموعة مقالات البشير الإبراهيمي، يلحظ أن بعضها كانت تحت عنوان «فصل الدين عن الحكومة»، والبعض الآخر بعنوان «فصل الحكومة عن الدين» وتعتبر هذه الأمور التي استنفذت جهود الإبراهيمي في مقالاته، حيث نجده خصص لها في البصائر الثانية أكثر من عشرين مقال، يعالج فيها هذه القضية الخطيرة، وقد طالب فيها بتحرير الأوقاف والمساجد ورجال الدين، والحج، والصوم، وكل ما احتكرته الحكومة وجعلته خاضعا لحكمها، ويتجلى مضمون هذا الكلام في مقاله بعنوان «فصل الدين عن الحكومة» قوله: «... فلا مسجد إلا ما فتحته، ولا إمام إلا من

---

[1] – عبد الملك مرتاض: فنون النثر الجزائري، ص 128.

[2] – نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1981، ص 316.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص 21.

نصبته، ولا مفتي إلا من حنفته أو ملكته، ولا شيخ طريق إلا من سلكته، ولا حاج إلا من حججته أو نسكته، ولا صائم ولا مفطر إلا على يد لجنتها، ولا هلال إلا ما شهد برؤيته قاضيها!...»[1].

تعد قضية فصل الدين عن الحكومة من القضايا التي تمسك الإبراهيمي بها، والتي يهدف من خلالها إلى التعبير عن مدى تشبث الأمة الجزائرية بهذا المطلب الواضح والصريح، الذي يقتضي الفصل البات دون أدنى تقييد ويقر الإبراهيمي بكثرة تناوله لهذه القضية في مقاله «فصل الحكومة عن الدين».

«... كتبنا في هذه القضية ما إن مداده ليكون عدة غدران وما إن صحافة لتغطي بضعة جدران، ولا كن كنا مع هذه الحكومة المتصامة – من عتو ومن استغلال- كما يحرق البخور لأصحاب القبور»[2].

يتحدث الإبراهيمي في مقالاته عن حقيقة الاستعمار ومكائده وجرائمه منها مقالته، «الأديان الثلاثة في الجزائر» في قوله: «جاء الاستعمار الدنس الجزائر: يحمل السيف والصليب ذلك لتمكن وهذا لتمكين، فملك الأرض، واستعبد الرقاب وفرض الجزية، وسخر العقول والأبدان، ولو وقف عند حدود الدنيويات لقلنا تلك هي طبيعة الاستعمار الجائع. تدفعه الشهوات إلى اللذات... وقف للإسلام بالمرصاد من أول يوم، وانتهك حرماته، فابتزر أمواله الموقوفة بالقهر»[3]، يصور لنا الإبراهيمي في هذه الفترة الأعمال الشنيعة والدنيئة التي صخرها المستعمر من أجل القضاء على الدين الإسلامي، وهوية الشعب الجزائري، والعمل على طمسها والاعتداء عليها.

وفي مقاله بعنوان: «ذكرى 8 ماي» يقول: «يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعر الأرض، من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء...»[4]، تصور هذه الحادثة الرهيبة جرائم العدو الفرنسي ومدى غضب الشعب الجزائري وآلامه في هذه المجزرة.

وكما بدأ المقالة يختمها بأسلوب يفيض جمالا فيقول: «يا يوم لك نفوسنا السمة التي لا تمحى والذكرى التي لا تنسى. فكن من أي سنة شئت يوم 8 ماي وكفى، وكل مالك عليك من دين

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص 92.
[2] – المصدر نفسه، ص 144.
[3] – المصدر نفسه ، ص 63.
[4] – المصدر نفسه ، ص 369.

أن نحي ذكراك، وكل ما عليك من واجب أن ندون تاريخك في الطروس لئلا يمسحه النسيان من النفوس».[1]

وفي مقاله بعنوان: «حدثونا عن العدل فإننا نسيناه»، يقول «إن الاحتقار هو الأساس الخلقي الذي وضع عليه الاستعمار قواعده، وبنى عليه قوانينه، وإن ملكة الاحتقار هي الغاية في العالم الاستعماري، ينتهي إليها عالمه... ولكنه بعد تراءى العيانان، عيان الفاعل وعيان القابل، لم يجد فينا قابلية الاحتقار، فانقلب ذلك الاحتقار على مر الزمن حقدا يصهر الجوانح وتحول بفعل الأحداث بغضا يأكل الأكباد...»[2]، يصف الإبراهيمي أخلاق المستعمر والدعائم التي يقوم عليها فيشنع بها أيما تشنيع.

تحدث الإبراهيمي عن الديمقراطية فعرفها في مقاله «عادت لعترها لميس» بقوله: «إن الديمقراطية عند حكومة الجزائر كصلاة المنافقين لا تزكى نفسا، ولا تنهى عن فحشاء، فإن الديمقراطية عند الأمم التي تنتحلها وتزعمها لنفسها – تتجلى في عدة مجالات ارفعها الانتخاب، فهو عندهم العنوان الواضح للحرية والبرهان اللائح على إطلاق الإدارة، والميزان العادل لاختيار الشعب»[3]،إنالإبراهيمي فرق بين الديمقراطية في الجزائر والتي تمثل دليل التناقض والتباين بين أقوال المحتل وأفعاله، أما في الأمم الأخرى فهي تعني حرية الاختيار والعدل.

نستنتج أن الإبراهيمي قد تناول في مقالاته مجموعة من القضايا السياسية التي تخص المجتمع الجزائري، فكانت كثيرة متنوعة.عالج فيها الأحداث التي جرت في الجزائر آنذاك. حيث صور لنا الأعمال التي طبقها الاستعمار على الجزائريين من طمس للديمقراطية ومجازر واعتداء على الحرمات.

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ، ص 372.

[2] – المصدر نفسه ، ص 420.

[3] – المصدر نفسه ، ص 382.

2- المستوى الخارجي:

لم يكن اهتمام البشير الإبراهيمي مركزا على السياسة الداخلية في بلاده فحسب بل كان شاغلا أيضا على ما يقع خارج الجزائر في دول العالم الإسلامي والعربي من أحداث فقد لخص لذلك في كتابه «عيون البصائر» ثلاثة مجموعات مقالية مطولة، تحدث في الأولى عن «جمعية العلماء والمغرب العربي ».

وفي الثانية «جمعية العلماء وفلسطين».

وفي الثالثة «جمعية العلماء والشرق والإسلام».

أ- قضية المغرب العربي:

كتب الإبراهيمي في هذه القضية ما يزيد عن عشر مقالات كاملة نذكر منها: «موجة جديدة»، «ليبيا موقعنا هنا»، «ليبيا ماذا يراد بها»، «إضراب التلامذة الزيتونيين»... «عروبة الشمال الإفريقي».

في مقاله بعنوان: «ليبيا موقعنا هنا»، يقول «ليبيا – بأجزائها، الطبيعية- قطعة ثمينة من وطن العروبة الأكبر، ومعقل حصين من معاقل الإسلام الباذخة مكتنفة الشمال والجنوب، بجمالين من مياه البحر الأبيض.. فهي رقعة من صنع الله مطرزة الحواشي بما يسخر الألباب، ويفتن النفوس... وهي نازلة من نفس كل عربي في مستقر الغيرة والحفاظ، ومن نفسي كل مسلم في منزلة الحب والكرامة، وتنفرد عن سكان الشمال الإفريقي بمعنى من معاني التقدير لهذه القطعة العزيزة من وطن العروبة والإسلام »[1]، يعرفنا الإبراهيمي في هذا المقال ببلد من بلدان المغرب العربي ليبيا، ويبدو كأنه واحد من الليبيين يحس إحساسهم، ويتألم لآلامهم، لا تحد بينه وبينهم حواجز.

وفي مقاله: «أرحام تتعاطف»، يقول: «طالما نعينا على المسلمين خصوصا، وعلى الشرقيين عموما، هذا التقاطع الذي شتت شملهم، وفرّق جامعتهم، وصيّرهم لقمة سائغة للمستعمرين، وطالما شرحنا للمسلمين أسرار التواصل والتراحم والتقارب الكامنة في دينهم، وأقمنا لهم الأدلة... وحلّت المحنة بالمغرب الأقصى وجاءت فرنسا بالخاطئة، فأهانت ملكا وهدّدت عرشا... وانتهكت حرمات

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص 448.

واعتقلت أحرارا، فلا يكون ضرامها في الإشعال والإطفاء إلا أجسامنا ودماؤنا»[1]، يفرغ الإبراهيمي في مقاله هذا غضبه على الاستعمار الفرنسي وعظيم توبيخه للشعب العربي وعمق أحزانه على ما أصاب المغرب الأقصى الشقيق من نفي لزعيمها الملك محمد الخامس.

ب-قضية فلسطين:

لقد أخذت قضية فلسطين حيزا كبيرا من تفكير الأدباء العرب وإنتاجهم «فقد واكبوها منذ ظهرت على مسرح السياسة وسايروا تطوراتها بصورة تدعو إلى الدهشة والعجب ليس فقط لأنهم كرسوا لها معظم إنتاجهم، ولكن لأنهم حذروا من الواقع الذي نعيشه اليوم بسبب ضياع فلسطين»[2]، ونحن لا نغالي إذا قلنا أن الإبراهيمي قد أحرر أصدق الكتابات عاطفة، وأزخرها مشاعر في قضية فلسطين، وذلك لما كتبه من مقالات طويلة وجميلة حول هذه القضية وهي لا تقل عن عشر مقالات منها: «تصوير الفاجعة»، «وصف قرار التقسيم»، «ماذا نريد لها وماذا يرّيدون»، «الانجليز حلقة الشر المفرغة»، «واجب فلسطين على العرب»، «عيد الأضحى وفلسطين».

ففي مقالته الأولى «تصوير الفاجعة»،يقول: «يا فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جراحا دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبارات هامية، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي: فلسطين قطعة من وطني الإسلام الكبير قبل أن تكون من وطني العربي الصغير...»[3]، يمكن القول أن الإبراهيمي هنا «تظهر عاطفته في أرقى مظهر، ويتجلى حبه لفلسطين في أعظم صورة، فإن كلماته وعباراته تصدر وكأنها قطعة من قلبه ودمه»[4]، ويتضح لنا أنه يناجي فلسطين بهذا النداء الحبيب.

وفي مقاله بعنوان: «أيها العرب، أيها المسلمون»،يقول: «إن فلسطين وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا، ونحن عصبة، إنا إذا

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر ، ص 471، 472.

[2] – عبد الله الركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983، ص 6-7.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 491.

[4] – عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص75.

لخاسرون»[1]، فهو هنا ينادي في إخلاص ويدعوا قومه إلى نصرة فلسطين والوقوف معها من أجل إخراج الصهاينة من بلاد العرب والمسلمين.

وفي مقاله أيضا «ماذا نريد لها وماذا يريدون»

يقول: «نحن العرب نريد فلسطين أن تكون عربية وأن تبقى عربية فتبقى لها بشاشة النبوة، وحلاوة الإيمان، وجاذبية الوحي وروحانية الشرق، ومخايل السامية، وصبغة السماء. نريد أن تبقى عربية الأنساب... سامية الأحساب، سماوية الأسباب،...»[2]، يدعوا الإبراهيمي إلى ضرورة الوحدة من أجل أن تبقى فلسطين عربية، لأنها «أرض النبوات التي لا إيمان لمن لا يؤمن بها، وهي موطن كثير من الرسل، وهي تضم ثالث أقواس المسلمين، وهي قبلتهم الأولى، والمستهدف فيها – بدءا وختاما– هو الإسلام»[3]، وهذا ما يؤكد قداسة هذه الأرض العظيمة.

وفي مقاله «عيد الأضحى وفلسطين»

يقول: «النفوس الحزينة، واليوم يوم الزينة، فماذا نصنع؟ إخواننا مشردون، فهل نحن من الرحمة والعطف مجّردون؟ تتقاضانا العادة أن نفرح في العيد ونبتهج به وأن نتبادل التهاني، وأن نطرح الهموم، وأن نتهادى البشائر. وتتقاضانا فلسطين أن نحزن لمحنتها، ونعنى بقضيتها ونهتم...»[4]، يدعوا الإبراهيمي إلى ضرورة تذكر إخواننا الفلسطينيين في هذا اليوم المبارك، الذي نفرح فيه ونبتهج، دون أن ننسى أحزانهم وآلامهم، وأن نهتم بقضيتهم.

استطاع الإبراهيمي أن يثير القارئ العربي وأن يحرك فيه عاطفته إزاء القضية الفلسطينية «وبالطبع فإن هذه المقالات مليئة بالسخط، تنضح بالثورة و الحماس والنبرة العالية ضدّ ما يجري في فلسطين من ظلم وقهر»[5]، في تعد من أهم القضايا التي احتلت الجزء الأكبر من اهتمام البشير الإبراهيمي.

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 504.

[2] – المصدر نفسه، ص 505.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي، ج4، تقديم وجمع أحمد طالب الإبراهيمي (1952– 1954)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ص 30.

[4] – محمد البشير الإبراهيمي: المصدر السابق، ص 526.

[5] – عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، د ط، دس، ص 136.

ج- قضايا المشرق الإسلامي:

لم يكتب الإبراهيمي في هذا الباب كثيرا، فمقالاته فيه لا تتجاوز خمس مقالات، جعلها في الحديث عن مصر نذكر منها: «محنة مصر محنتنا»، «يا مصر»، «أثر الأزهر في النهضة المصرية»، «من نفحات الشرق»، حيث نلمس في هذه المقالات تعلق الإبراهيمي بالشرق الذي قضى فيه جزءا قليلا من حياته، ومدى اهتمامه بقضاياه.

وفي حديثه عن مصر في مقاله: «محنة مصر محنتنا»

يقول: «إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المعبرة عن إحساس الشعب الجزائري كله، تعلن تأييدها للشعب المصري وتضامنها معه في موقفه الحازم، ولا تصدها عن أداء واجبات الأخوة، هذه الحدود الوهمية التي خطاها الاستعمار بين أجزاء الوطن الواحد...»[1]، نلاحظ أن الإبراهيمي هنا قد عبر عن إحساس الشعب الجزائري ومدى تأييده للشعب المصري والوقوف معه.

يورد الإبراهيمي أيضا في مقاله بعنوان «من نفحات الشرق»، حيث يقول: «نأسى عليك يا شرق أن تتقاذ فك الأقدار فتنقلب من عبادة الأصنام الحجرية، إلى عبادة الأصنام البشرية، فمتى تنهض بمن يكسر هذه في الآخرين، كما كسر محمد أخواتها في الأولين»[2] نجد الإبراهيمي هنا معبر عن شفقته وآلامه، فهو يحذر من الملوك المغرورين والمفسدين، فالمقصود بالأصنام البشرية هم العلماء الضالين.

يمكن القول بأن الإبراهيمي قد اهتم أيضا بمختلف قضايا العالم العربي والإسلامي، وأعطاها حقها من مقالاته كأنها قضية من قضايا الجزائر، وهذا دليل على حبه وإخلاصه ونصرته لمختلف قضايا العرب، كما أن الرؤية السياسية بمستوياتها الداخلي والخارجي قد تمحورت حول مختلف القضايا الهامة والراهنة في ذلك الوقت.

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص 559.

[2] - المصدر نفسه، ص 553.

رابعا :الرؤية الثقافية:

أولى الإبراهيمي لقضايا الوطن العربي والإسلامي، اهتماما كبيرا، فتتبع أحداثها الدقيقة بصفة مستمرة وحرص على التقاط أخبارها رغم انعدام وسائل الاتصال «رغم محاولات الاستعمار الفرنسي المتكررة لعزل المسلمين الجزائريين عن إخوانهم بحرمانهم من الإمدادات الثقافية والإعلامية التي كانت دفقة الحياة لهم في هذه الغربة الموحشة،رغم ذلك فإن المستعمر لم يفلح قط في زعزعة عقيدتهم الراسخة بالانتماء إلى الوطن الإسلامي والعربي الكبير...»[1]، ذلك أن الفرنسيون صدوا الشعب الجزائري عن ثقافته العربية، وعملوا على «فرض ثقافتهم حتى يقتلوا اللغة العربية لما فيها من خطر على بقائهم في الجزائر لأهمية اللغة بين مقومات القومية.»[2]، فالإبراهيمي تحدث في مقالاته «عيون البصائر» عن الهوية باعتبارها «من أبرز الموضوعات التي شغلت هذه الصحف جميعا كما كانت أهم محاور اهتمامات الأدباء والمفكرين»[3]، فقد كتب في هذا المجال عدة مقالات أهمها: «إلى أبنائي الطلبة»، «المهاجرين في سبيل العلم»، «عروبة الشمال الإفريقي»، «كلمات واعظة إلى أبنائنا المعلمين الأحرار»، «اللغة العربية في الجزائر».

وسنوضح ذلك فيما يلي:

1- قضية التعليم:

إن العلم سلاح الإنسان والقوة الكبيرة التي فرضت في هذا العصر، لذلك كان الإبراهيمي يحث الشباب دائما على العلم والمعرفة، ليبنوا حياتهم العالمية، المستقبلية ففي مقاله بعنوان: «إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل الله» يقول: «إنكم لا تضطلعون بهذه الواجبات إلا إذا انقطعتم لطلب العلم، وتبتلتم إليه تبتيلا، وأنفقتم الدقائق والساعات في تحصيله، وعكفتم على أخذه من أفواه الرجال، وبطون الكتب واستثرتم كنوزه بالبحث والمطالعة»[4]، إن الإبراهيمي هنا يدعوالطلبة إلى حب

[1] – محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931، وزارة الثقافة، د ط، 2007، ص 381.

[2] – محمد الطّمار: تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2010، ص 387.

[3] – محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ، 2005م، ص 33.

[4] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص 216.

العلم والتمسك به، والسهر من أجله، وتحصيله حتى إن كان بعيدا لأنه هو الذي يلبي لهم الحاجات والمطالب في الحياة.

يقول كذلك في مقاله بعنوان: «إلى أبنائنا المعلمين الأحرار»، «ها أنتم هؤلاء تبوأتم من مدارسكم ميادين جهاد، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان»[1]، يحث الإبراهيمي وفي هذا المقال المعلمين بالعمل بجد واجتهاد وتفوق كل واحد منهم في ميدانه، كأنه يجاهد في سبيل الله وطنه، وهذا حتى نصل إلى المراتب العليا من التقدم والتطور.

يورد في مقاله بعنوان «كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار» قائلا: «امزجوا لهم العلم بالحياة، والحياة بالعلم يأتي التركيب بعجينة»[2]، يدعوا الأديب هنا الطلبة والمعلمين إلى ضرورة الربط بين التربية والتعليم لأنهما يمثلان قمة التطور والحضارة الحقيقية.

2- العروبة:

تعد العروبة أحد مقومات الأمة العربية الإسلامية وهي التي تجمعنا تحت اللغة والثقافة والتاريخ، لذلك اهتم بها الإبراهيمي في مقالاته.

ففي مقاله بعنوان: «في الشمال الإفريقي:عروبة الشمال الإفريقي»

يقول: «عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه طبيعية كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء والينابيع التي انفجرت منها الأخلاق والخصائص، والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد، وهي التي اثبتُ أساسا وأقدم عهدا وأصفى عنصرا، من الإنكليزية الإنكليز، وألمانية الألمان... هذه العربية الأصلية العريقة في هذا الوطن هي التي صيرته وطنا واحدا، لم تفرقه إلا السياسة، سياسة الحلاف في عصوره الوسطى وسياسة الاستعمار في عهده الأخير وهذه العروبة هي مساكه على كثرة المفرقات... فالعالم العربي بهذه العروبة المكنية كالجسد الواحد، إذا ألم بجزء من أجزائه جاءت أو نزلت به مصيبة تداعت له سائر الأجزاء بالنصرة والغوث، أو بالتوجّع والإمتعاض»[3]، إن المحتل يرفض عروبة الشمال

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ، ص 288.

[2] - المصدر نفسه، ص 300.

[3] - المصدر نفسه، ، ص 478- 479.

الإفريقي ويؤكد انتماءه إلى العنصر البربري لذلك رد عليه الإبراهيمي ودحض ادعاءاته مؤكدا على عروبة الشمال الإفريقي من خلال هذا المقال.

3- اللغة العربية:

أولى البشير الإبراهيمي اهتماما بالغا باللغة العربية، لأنها لغة القرآن الكريم، فهو يرى فيها أحد المقومات الشخصية، فقد كان شعاره وجماعته: «حماية اللغة العربية من ضياع، فاللغة العربية هي الهدف الأول والأكثر»[1]، حيث يقول في مقاله بعنوان: «اللغة العربية في الجزائر – عقيلة حرة ليس لها ضرة–»، «اللغة العربية في القطار الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حماتها وأنصارها وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل ممتدة مع الماضي، لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم... فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح، مادام الإسلام مقيما لا يتزحزح... وإن الصلوات بها تبدأ أو تختم»[2].نرى في هذا المقال بأن الإبراهيمي يدافع عن اللغة العربية ويثبت العلاقة الوطيدة بينه وبين الشعب الجزائري وهذا لأن الاستعمار حاول القضاء على شخصية الشعب الجزائري حيث حارب اللغة العربية وشكك في أصالتها.

نستنتج بأن الإبراهيمي قد أولى القضايا الثقافية عناية فائقة ودافع عنها، وحارب كل مظاهر التخلف من جهل وفقر وآفات اجتماعية، حيث اعتبر العروبة والإسلام لا يقومان على الأقوال وإن طالت وكثرت، وإنّما تقوم على الأعمال والحقائق ودعا إلى ضرورة التمسك بهما من أجل تثبيت أصالتها في نفوس أبناء هذه الأمّة.

[1] – محمد درّاجي: الإبراهيمي في عيوني معاصريه، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص 167.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 221.

خامسا :الرؤية الدينية:

تتمثل هذه الرؤية في الشعائر الدينية التعبدية من صلاة وصيام، وحج، وعيد وغيرهم، «فقد كتب الإبراهيمي في هذا المجال مجموعة من المقالات والخطب ليست كثيرة، أغلبها يتعلق بشهر رمضان والصيام والعيد، ينزع فيها منزعا إصلاحيا»[1]، ونذكر منها: "معنى العيد"ن "من وحي العيد"، "هجرة النبوة من مكة إلى يثرب"، "أثر الصوم في النفوس"، "حكمة الصوم في الإسلام"، يحرص فيها الإبراهيمي على تبيين حقائق الدين صافية ناصعة خالية من التعقيد والإبتداع، وسنوضح ذلك فيما يلي:

في مقاله بعنوان: «هجرة النبوة من مكة إلى يثرب» يقول: «كانت الهجرة وما زالت هروبا من الباطل والمبطلين ونجاء بالنفس أو بالعقيدة أو بهما، فهي في خلاصتها انهزام يتعذر بالضعف إلى أن يحد القوة، وفرار بعزيز يخاف إليه إلى حيث يؤمن عليه،...»[2]، حاول الإبراهيمي هنا أن يذكر النعم التي أنعمها الله على العرب، حين حياهم الله بالإسلام وحين هدَا قلوبهم إلى التوحيد، كما وقف لدى حادثة الهجرة النبوية التي تبهر النفوس.

ومن القضايا التي وقف عليها في مقاله بعنوان: «حكمة الصوم في الإسلام» يقول: «وينفرد الصوم من بين العبادات بأنه قمع للغرائز عن الاسترسال في الشهوات التي هي أصل البلاء عن الروح والبدن، وفطم أمهات الجوارح عن أمهات الملذات، ولا مؤدب للإنسان كالكابح بضراوة الغرائز فيه والحد من سلطان الشهوات عليه، بل هي في الحقيقة نصر له على هذه العوامل التي تبعده عن الكمال...»[3]، تناول الإبراهيمي في هذا المقال فريضة الصوم الذي كان يفهم على أنه إمساك عن الأكل والشرب فحسب، فحاول أن يسقط هذا الفهم الخاطئ ويبين للفرد المسلم أن رمضان ليس مجرد الابتعاد عن الأكل وغيره، كما كان ينظر إلى الفرائض الدينية على أنها ليست مجرد عادات تؤدى بأمر الخالق عز وجل بل أنها وسائل تربية وإصلاح للنفس.

---

[1] – عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص 82.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي:عيون البصائر ،ص 82.

[3] –المصدر نفسه ، ص 574.

وفي مقاله بعنوان: «معنى العيد» يقول: «العيد في معناه كلمة شكر على تمام العبادة، لا يقولها المؤمن بلسانه ولكنها تعتلج في سرائره رضا واطمئنانا وتنبلج في علانيته فرحا وابتهاجا وتسفر بين نفوس المؤمنين بالبشاشة والطلاقة والأنس، وتمسح ما بين الفقراء والأغنياء من فجوة»[1] يعرفنا الإبراهيمي بمفهوم العيد في الدين من حيث كونه يوم مبارك يأتي بعد اكتمال العبادة يعود على المؤمنين بالسرور والفرح.

نستنتج بأن الرؤية الدينية عند الإبراهيمي لا تدخل في مجال الغيبيات بقدر ما تركز عن المسائل الدينية التي ترتبط بواقع المسلم المعاش، وتناوله لهذه المسائل لم يأخذ شكلا تعليميا بل يهدف إلى تقويم بعض الظواهر الاجتماعية السيئة التي آل إليها المجتمع

نستنتج مما تقدم بأن الإبراهيمي عاش جل حياته إبان الاستعمار ،الذي طمس الهوية الثقافية ،ونشر الجهل ،وحارب اللغة العربية ،وهذا ما جعله يهتم بمختلف القضايا المتعلقة بالمجتمع الجزائري آنذاك ،ومن بين القضايا التي عالجها القضايا الاجتماعية التي اهتمت بالسلوك الاجتماعي ،والشباب ،والزواج ،والطلاق،والمرأة، أما القضايا الثقافية تمثلت في الدفاع عن اللغة العربية، باعتبارها اللغة الأم ،وكذلك الحديث عن العروبة ،والتعليم العربي،أما بالنسبة للرؤية السياسية فكانت ذات مستويين داخلي ،اهتم بقضايا الوطن ،أما المستوى الخارجي حيث تناول قضايا المغرب العربي ،والمشرق الإسلامي ،وقضية فلسطين ،التي احتلت مكانة بارزة في قلب الإبراهيمي ،كونها الأرض المباركة ،أما الرؤية الدينية فقد ارتبطت بتوجه الإبراهيمي الإصلاحي ،فكان يهتم بشكل كبير بالمسائل الدينية المرتبطة بالأمور الدنيوية التي يعيشها الإنسان .

[1] – محمد البشير الإبراهيمي : عيون البصائر، ص 43.

خاتمة

خاتمة

استطاع محمد البشير الإبراهيمي بتوظيفه لجماليات اللّغة من اقتباس، وصور بيانية، ومحسنات بديعية، وترادف، وتضاد، أن يشكل مجالا خصبا ،تفاعل فيه مع قضايا الجزائر إبان الاستعمار، كما كانت للرؤى أبعادًا تنوعت في مقالاته "عيون البصائر"، أمكننا الكشف عن بعض تجلياتها من خلال بحثنا الموسوم بـ: "جماليات اللغة وأبعاد الرؤية في عيون البصائر لمحمد البشير الابراهيمي " ، والتي لامست عمق الأزمة الجزائرية آنذاك،وأهم النتائج يمكن استخلاصها بعد البحث والدراسة تتمثل في :

1. يعد فن المقال نوعا فكريا تشكل الأحداث والظواهر ،والتطورات موضوعه.
2. صحيح أن أسلوب البشير الإبراهيمي يتقاطع مع غيره من كتاب العربية من قدامى ومحدثين، ولكنه يعدل عنهم إلى الفرادة والتميّز وصولا إلى تحقيق سمات أسلوبية خاصة به.
3. إنّ الإبراهيمي طاقة إبداعية أصيلة نادرة، أضافت إلى مكتبة الإبداع الإسلامي العربي باقات من الأدب الراقي المتسامي، شكلا وأسلوبا، وفكرا، وموضوعا.
4. مثلت الصور البيانية والمحسنات البديعية عند الإبراهيمي آلية من آليات التشكيل اللغوي مع ما تحمله من جمالية، تستميل القارئ فتجعله يقتنع بما يسمعه من أفكار عن طريق إشباع عقله ومشاعره معا.
5. أنّ ما يتميز به نثر الإبراهيمي هو ذلك التنوع والتوسع في الفنون والموضوعات فقد كتب في المقال،وكتب في شؤون السياسة والإصلاح ،والعقيدة ،والاجتماع، والتاريخ، فكان الأديب المبدع والمفكر البارع في كلّ موضوع.
6. إنّ ما أهل الإبراهيمي لبلوغ هذا المستوى من المكانة الأدبية هو موهبته أوّلا وثقافته القرآنية العربية العميقة الواسعة ثانيا، ومشاعره اللطيفة الخالصة تجاه دينه ولغته، ووطنه وأمته.
7. إنّ عبقرية الإبراهيمي الأدبية وأصالته الإبداعية تتجلّى واضحة في أسلوبه المتأنق، الذي يجمع بين فخامة اللغة، وبلاغة التعبير، وفي قدرته الفائقة على التصوير الفني المتنوع.

خاتمـــــــة

8. مقالات "عيون البصائر"من المقالات التي قدمت خدمة جليلة للغة العربية في وقت كانت فيه تعاني التهميش والحصار، فلم يكن من السهل أن يكتب بتلك اللغة الفصيحة لمخاطبة جزائري كان همّه الوحيد القوت والاستفادة من أبسط سبل العيش.

- ما يمكن قوله إنّ الإبراهيمي كان يحق مشروعا لمدرسة أدبية تمكن من خلالها توصيل خطابه بتشكيل لغوي حمّل في طياته معاني قوية بألفاظ جزلة، ساعدته في إقناع الناس وإرشادهم إلى مكان يدعو إليه من قضايا الإصلاح فها هو الإبراهيمي الأديب المجاهد المصلح ينشغل عن ذاته الخاصة برسالته نحو أمته.

كما نتمنى في الأخير أن تكون هذه الرسالة بداية لآفاق ومجالات جديدة، يتم تناولها في دراسات أخرى تفيد الأدب العربي وتسهم في إنتاجيته

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

–المصادر:

1- محمد البشير الإبراهيمي: مجموعة البصائر التي كتبها لإفتتاحية عيون البصائر ،الشارقة الوطنية للنشر والتوزيع،السلسلة الثانية الجزائر .

2- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي ،ج1 ،(1929-1940)،تقديم وجمع ،أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،ط1،1997.

1- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي،ج2،(1940-1952)، تقديم وجمع أحمد طالب الإبراهيمي،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،ط1،1997.

4-محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي،ج3،عيون البصائر ،تقديم وجمع أحمدطالب الإبراهيمي،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،ط1،1997.

5- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي،ج4،(1952-1954)،تقديم وجمع أحمدطالب الإبراهيمي،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،ط1،1997.

–المراجع:

أ/الكتب العربية:

6-أمين بكري شيخ:البلاغة العربية في ثوبها الجديد ،علم البديع ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،ط7،2003.

7-أحمد ربيع محمد ،أحمد الحمداني سالم :دراسات في الأدب العربي الحديث ،دار الكندي للنشر والتوزيع ،دط،دس.

8-بوحسين حسين :أدبية الخطاب النثري عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دراسة ،إصدارات دار الثقافة ،بشار ،الجزائر ،ط1،2011.

9-بلقاضي هشام :معجم علماء الدين والإصلاح في الوطن العربي،الجزائر ،منشورات ابن سنان،تلمسان ،الجزائر ط1 ،2011.

10- بوقارورة عمر أحمد:بناء النسق الفكري محمد البشير الإبراهيمي،قراءة في ظل البنية والمتغير ،دار الهدى لطباعة والنشر والتوزيع ،عين ميلة،دط،،2004.

11- بومنجل عبد الملك :النثر الفني عند محمد البشير الإبراهيمي،بيت الحكمة ،للنشر والتوزيع ،ط1،2009.

12- بطرسأنطونيوس:الأدب،تعريفه،أنواعه،مذاهبه ،المؤسسة الحديثللكتاب،طرابلس،لبنان،دط،2005،دط،2005.

13- بوصفصاف عبد الكريم :جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورهافي تطور الحركة الوطنية الجزائرية ،1931-1945،عالم المعرفة ،الجزائر ،دط،2009.

14-بوصفصاف عبد الكريم :جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى ،دراسة تاريخية ،وإيديولوجية ،مقارنة ،دار الوداد ،الجزائر ،ط2 ،2009 .

15- تميم آسيا :الشخصيات الجزائرية 100 شخصية التاريخية و الفكرية ،دار المسك ،الجزائر ،دط،2008 .

16- ثويني أحمد آدم :البلاغة العربية المفهوم والتطبيق،دار المناهج للنشر والتوزيع ،عمان،الأردن ،ط1 1427هـ -2007م.

17- الجارم علي ،مصطفى أمين:البلاغة الواضحة ،البيان ،والمعاني ،والبديع ،المكتبة العلمية،بيروت ،لبنان ،دط،دس .

18- الجابري محمد صالح :الأدب الجزائري المعاصر،دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع ،ط1 ،1426 هـ،2005م .

19- الجوهري رجاء السيد:فنان البديع الشاعر إبراهيم بن هومة القرشي ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ،دط،دس .

20- الحسن محمد الهادي :من وحي البصائر ،تقديم محمد صالح ناصر ،دار الأمة ،الجزائر ،ط1،2010

21- حمادي عبد الله :أصوات من الأدب الجزائري الحديث ،دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر ،دط.

22- الحربي عبد العزيز علي :البلاغة الميسرة ،دار ابن حزم ،بيروت ،لبنان،ط2،1432هـ - 2011م .

23- الخريشة عيد حمد :تطور الأساليب الكتابية في العربية ،دار المناهج ، الأردن ،ط1425هـ-2004م .
24- خرفي صالح :الشعر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،دط،1984
25- دراجي محمد : الإبراهيمي في عيون معاصريه ،مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع،الجزائر ،ط1،2007.
26- دراجي محمد:مواقفالإمام الإبراهيمي،الرجال أعمال ،ج7،عالم الأفكار ،الجزائر ،ط1،2007.
27- رمضان رمضان عبد الله :الصيغ الصرفية العربية في ضوء علم اللغة المعاصرة،مكتبة بستان المعرفة للطباعة ونشر الكتب ،الإسكندرية ،مصر ،ط1،2006.
28- الركيبي عبد الله :تطور النثر الجزائري الحديث،دار الكتاب العربي،الجزائر،دط،1974.
29-الركيبي عبد الله:قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،دط ،1983
30- الركيبي عبد الله:فلسطين في الأدب الجزائري الحديث ،دار الكتاب العربي ،القبة ،الجزائر ،دط ، دس .
31- أبو الرضا سعد :في البنية والدلالة ،منشأة المعارف ، الإسكندرية ،مصر ،دط،1987.
32- زيدان جرجي،تاريخ آداب اللغة العربية ،ج3،دار مكتبة الحياة ،بيروت ،دط،1990.
33- زايد عمار :النقد الأدبي الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،دط،1990.
34- الزيادي حاكم ملك :الترادف في اللغة ،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،دط،1980
35- سلطان منير: البديع ،تأصيل وتجديد ،منشأة المعارف ،الاسكندرية ،مصر ،دط1986
36- السيد شفيع:أساليب البديع في البلاغة العربية ،رؤية معاصرة ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة ،مصر ،دط ،2006.
37- سعد الله أبو القاسم :أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ج2 ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ط2،1989
38- سعيدوني ناصر الدين:الجزائر منطلقات وآفاق ،مقاربات للواقعالجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية ،عالم المعرفة ،باب الزوار ،الجزائر ،ط2،1430هـ-2009م.

39- سلمان نور:الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط1،1981.

40- بن سلامة الربعي وآخرون ،موسوعة الشعر الجزائري ،مجلد 1،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ،دط،2009.

41- بن سمينة محمد:أسسمشروع النهضة عن الإمام بن باديس ،ج2،منشورات المجلس الإسلامي الإعلامي ،الجزائر ،دط،2007.

42- السيد الحديدي عبد اللطيف محمد :فن المقال في ضوء النقد الأدبي ،دار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ،مصر ،ط3،2003.

43- السامرائي فاضل صالح:معاني النحو ،ج3،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط1، 1420هـ-2000م.

44- السراج أبي بكر محمد النحوي البغدادي:الأصول في النحو،ج2 ،تحرير عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ،ط3،1417هـ-1996م.

45- أبو شوارب محمد مصطفى ،المدخل إلى فنون النثر الأدبيالحديث ومهاراته التعبيرية ،دار الوفاء ،الإسكندرية ،ط1،2007.

46- شعبان ماهر : الكتابة الوظيفية الإبداعية ،المجالات ،المهارات ،والتقويم ،دار المسيرة ،عمان ،الأردن،2010

47- الشوابكة داود غطاشة ،محمد مصطفى الفار :دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية ،دار الفكر ،عمان ،ط1،1430هـ -2009م.

48-شرف عبد العزيز:أدبيات أدب المقال،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ،لبنان ،ط1،1997.

49- ضيف شوقي :الفن ومذاهبه في التثر العربي ،دار المعارف ،مصر ط2،دس.

50 - ضيف شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر،دار المعارف ،القاهرة،ط10 ،1992.

51- الضناوي محمد أمين :معين الطالب في علوم البلاغة ،علم المعاني ،البديع ،البيان ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1،2000.

52- الطمار محمد :تاريخ الأدب الجزائري ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط2،2010

53- الطباع عمر فاروق :الوسيط في قواعد الإملاء والإنشاء ،مكتبة المعارف للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1413هـ-1993م.

54-عباس محمد :البشير الإبراهيمي أديبا البصائر،ديوان المطبوعات الجامعية ،وهران الجزائر ،دط،دس.
55- عمر باعزيز :من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين ،عبد الحميد بن باديس ،ومحمد البشير الإبراهيمي ،منشورات الصبر ،الجزائر ،ط2،2007.
56- عتيق عبد العزيز ،المدخل إلى علم النحو والصرف ،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ،ط2،1997.
57- عباس فضل حسن ،البلاغة فنونها وأفنانها ،علم المعاني ،دار الفرقان ،للطباعة والنشر ،عمان ،الأردن ،ط1،1407هـ- 1987م.
58- عطية مختار :التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية ،مصر ،دط
59- أبو العدوس يوسف :مدخل إلى البلاغة العربية ،علم المعاني ،علم البيان،علم البديع ،دار المسيرة للنشر و التوزيع ،عمان ،الأردن ،ط1،1427هـ- 2007م
60- عتيق عبد العزيز : فيالبلاغة العربية،علم البديع،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان،دط ،دس.
61- عيد زهدي محمد :فن الكتابة والتعبير ، دار اليازوري العلمية ،عمان ،الطبعة العربية ،2009.
62- عمامرة تركي رابح :جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931-1956)، ورؤسائها الثلاثة ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،ط1،1425هـ- 2004م.
63- عويمر مولود :تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية،ج1 ،دار قرطبة ،تلمسان ،الجزائر ،ط1،1432هـ- 2011م.
64- غريب علام عبد العاطي :دراسات في البلاغة العربية ،منشورات جامعة قان يونس،بن غازي ،ليبيا ،دط،19997.
65- الفاخوري حنا:منتخباتالأدببالعربي ،منشورات المكتبة البوليسية ،بيروت ،لبنان،ط5، 1790.
66 - الفاخوري حنا:الجامع في تاريخ الأدب العربي ،دار الجيل ،بيروت،لبنان،دط،1986.
67- الفضلي عبد الهادي :مختصر الصرف ،دار العلم ،بيروت،لبنان،دط،دس .
68- فريد عائشة حسين :البيان في ضوء الأساليب العربية،دار قباء للطباعة والنشر ،القاهرة، مصر،دط،2000.

69- فضلاء محمد الطاهر ،أعلام الجزائر ،الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى ،نشر وتوزيع ،مكتبة البحث ،قسنطينة، الجزائر،دط،1967.

70-الفرحي بشير كاشة :محمد البشير الإبراهيمي شيخ العلماء و فارس البيان ،سلسلة" أعلام بلادي"،دار الآفاق، الجزائر ،دط،2004

71- القزويني الخطيب ،جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد: الإيضاح في علوم البلاغة ،المعاني والبيان والبديع ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1،1424هـ -2003م.

72- القزويني الخطيب ،جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد:التخصيص في وجوه البلاغة دار ،دار الفكر العربي ،ط1 ،1904.

73- قاسم محمد أحمد ،محي الدين ديب،علوم البلاغة ،البديع ،والبيان ،والمعاني ،المؤسسة الحديثة للكتاب ،طرابلس ،لبنان ،ط1 ،2008.

74- قطب سيد :النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،دار الشروق ،القاهرة ،ط8،2003.

75- بن قينة عمر :الأدب العربي الحديث ،دار إبداع نايف،جدة ،ط1 ،1425هـ-2004م.

76- بن قينة عمر: صوت الجزائر في الفكر العربي الإسلامي (أعلام و قضايا،ومواقف)،ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون الجزائر ،دط،دس.

77- كحوال محفوظ:الأجناسالأدبية،المقالة ،المسرحية ،القصة ،السير والتراجم ،الشعر الإجتماعي الشعر السياسي،والشعرالسياسي،والشعر الحر ،الشعر الموضوعي ،دار نوميديا للنشر والتوزيع قسنطينة ،الجزائر ،دط،2007.

78-كفافي عطا :المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث ،دار هجر ،للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1،1985.

79- كبير سليمة ،من أعلام الجزائر في العصر الحديث ،الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ،أمير البيان وحامي الشخصية الوطنية ،المكتبة الخضراء ،الجزائر ،دط،دس

80-لونيسي رابح :سلسلة أبطال من وطني ،الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ،المجاهد بالقلم ،دار المعرفة ،الجزائر ،دط،دس.

81-لونيسي رابح:معجم الأدباء العلماء المعاصرين من(1798إلى 2009)،الدار الوطنية للكتاب،الجزائر ،دط،2009.

82- مصايف محمد:النثر الجزائري الحديث ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،دط،1983.
83- مهداوي محمد:البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا،ط1،1998.
84– مرتاض عبد الملك :فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1945)،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،دط،1983.
85 - مرتاض عبد الملك:نهضة الأدب المعاصر (1925-1945)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط2،دس.
86- محمد عاطف فضل :التحرير الكتابي الوظيفي و الإبداعي ،دار المسيرة ،عمان ،ط1 ،1433هـ -2012م.
87- المراغي أحمد مصطفى :علم البلاغة ،البيان ،المعاني ،البديع،دار القلم ،بيروت ،لبنان ،دط،دس
88-نجم محمد يوسف :فن المقالة ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،ط4،1966.
89- ناصر محمد :المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها أعلامها ،من (1903- 1931)،وزارة الثقافة ،دط،2007.
90-نويهض عادل :معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ،ج1،دار مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث،الجزائر ،ط1،1432هـ-2011م.
91- النادري محمد أسعد :فقه اللغة ومناهله ،ومسائله،المكتبة العصرية ،بيروت ،لبنان ،دط،2005
92- الهاشمي السيد أحمد :جواهر البلاغة في المعاني والكلام والبديع ،تحقيق وفهرسة ،حسن نجار محمد،دارناشر،القاهرة ،مصر ،ط2،1426هـ-2005م.
93- يونس علي محمد محمد:مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ،دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت ،لبنان،ط1،2004.

الكتب المترجمة :

94-ديجن ستيوات :السجع في القرآن ،ترجمة إبراهيم عوض،مكتبةالزهراءالشخرق،القاهرة ،مصر ،دط،1998.

كتب الحديث والمعاجم:

95- البخاري صحيح:ألفية الإمام الشيخ البخاري ،الدار الذهبية للطباعة والتوزيع ،القاهرة مصر ،دط،دس.

96-ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري:لسان العرب ،مجلد الرابع والخامس ،ج39،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،دط،دس

97- أبادي الفيروز ،مجد الدين بن يعقوب :القاموس المحيط ،دار الكتب العلمية لبنان ،ط1،1925هـ-2004م . -

98- البستاني الشيخ عبد الله :الوافي معجم وسيط للغة العربية ،مكتبة لبنان ،طبعة جديدة،1990.

99- صبحي حموي :المنجد في اللغة العربية والمعاصرة ،دار المشرق ،بيروت لبنان ،ط1،2000.

100- الكفوي أبو البقاء :الكليات،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،تحقيق عدنان درويش ،محمد المصري ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ،ط1،1419هـ-1998م .

101- معلوف لويس :المنجد في اللغة والأدب والعلوم ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت لبنان،ط19،1966.

المجلات والدوريات:

102- بوخلخال عبد الله: العلاقة بين اللفظ والمعنى،ين المفهوم المعجمي و الاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر ،مجلة وصل ،عدد2،معهد اللغة العربية وآدابها ،جامعة تلمسان ،الجزائر ،1997.

103- شيبان عبد الرحمن :الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية ،مجلة الثقافة ،عدد87،دار الأمة ،1985.

104-شكري فيصل:قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي،مجلة الثقافة ،عدد 87،دار الأمة ،1985.

الرسائل الجامعية:

105-بوبقارالسعيد:فلسطين في أدب الإبراهيمي،دراسة تحليلية فنية ،رسالة ماجيستير في أدب الحركة الوطنية الجزائرية ،جامعة الإخوة منتوري،قسنطينة ،1429هـ-2008م.

106-صخري عقيلة :فن المقال عند محمد البشير الإبراهيمي ،دراسة تحليلية ،رسالة ماجيستير،جامعة عين شمس ،1410هـ -1990م.
107-عمارة حياة :أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية ،رسالة دكتوراه،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان الجزائر 1435هـ-2014م.

المواقع الإلكترونية:

108- حسام الدين كريم زكي :التحليل الدلالي اجراءتهومناهجه،ج1، www kotobrabia com

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
المدخل : فن المقال عند البشير الابراهيمي	
أولا : مفهوم المقال	7-5
ثانيا : نشأة و تطور فن المقال	12-8
ثالثا : السمات الفنية للمقال	13
رابعا : أنواع المقال	17-13
خامسا : عناصر المقال	18-17
سادسا : التعريف بالكاتب محمد البشير الابراهيمي	26-25
سابعا : التعريف بـ 'عيون البصائر'	26-25
ثامنا : الخصائص الفنية لفن المقال عند محمد البشير الابراهيمي	29-27
الفصل الاول : جماليات اللغة في مقالات عيون البصائر لمحمد البشير الابراهيمي	
أولا : بناء الالفاظ في "عيون البصائر"	30
1- الترادف	31
2- الاشتقاق	37-32
3- الغريب	38
4- الدخيل	40-39
ثانيا : بناء التراكيب في "عيون البصائر"	40
1- الإيجاز و الإطناب	41
2- الاقتباس و التضمين	44-42
3- الخبر و الإنشاء	46-44
4- القصر	48-47
ثالثا : التصوير الفني و التخييل	50
1- المحسنات البديعية	50
أ. الجناس	51
ب. السجع	52
ج. الطباق	53

د. المقابلة	56-55
2- الصور البيانية	57
أ. التشبيه	57
ب. المجاز	58
ج. الاستعارة	59
د. الكناية	60
الفصل الثاني :أبعاد الرؤية في "عيون البصائر"	
أولا : مفهوم الرؤية	66
ثانيا : الرؤية الاجتماعية	67
1-البناء الاسري	69
2- موقف الابراهيمي من الشباب	69
ثالثا: الرؤية السياسية	70
1-المستوى الداخلي	71
2-المستوى الخارجي	74
رابعا : الرؤية الثقافية	79
1-قضية التعليم	78
2-العروبة	79
3-اللغة العربية	80
الرؤية الدينية	82- 81
خاتمة	84-83
قائمة المصادر و المراجع	93-85
الفهرس	95-94
الملاحق	105-96

الملاحق

اللغة العربية في
عقيلة حرّة، ليس لها ضرّة

اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبةً ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل؛ ممتدة مع الماضي لأنها دخلتْ هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم. فلما أقام الإسلامُ بهذا الشمال الأفريقي إقامةَ الأبد وضربَ بجرانه فيه أقامتْ معه العربية لا تريم ولا تبرَح، ما دام الإسلام مقيمًا لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتنساغ في الألسنة واللهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه. يزيدها طيبًا وعذوبة أن القرآن بها يُتلى، وأن الصلوات بها تبدأ وتُختم، فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعتْ دائرتها، وخالطت الحواس والشواعر، وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا؛ فأصبحت لغة دين ودنيا معًا، وجاء دور القلم والتدوين فدوّنت بها علوم الإسلام وآدابه وفلسفته وروحانيته؛ وعرف البربر على طريقها ما لم يكونوا يعرفون، وسعتْ إليها حكمة يونان، تستجديها البيان، وتستعديها على الزمان، فأجدت وأعْدت. وطار إلى البربر منها قبس لم تكن لتطيره لغة الرومان، وزاحمت البربرية على ألسنة البربر فغلبتْ وبزت، وسلّطت سحرها على النفوس البربرية فأحالتها عربية، كل ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر، واقتناع لا يد فيه للقهر، وديمقراطية لا شبح فيها للاستعمار. وكذَب وفجَر كل من يسمّى الفتح الإسلامي استعمارًا. وإنما هو راحة من الهم الناصب، ورحمةٌ من العذاب الواصب، وإنصاف للبربر من الجوْر الروماني البغيض.

من قال إن البربر دخلوا في الإسلام طوعًا فقد لزمه القول بأنهم قبلوا العربية عفوًا، لأنهما شيئان متلازمان حقيقة وواقعًا، لا يمكن الفصل بينهما، ومحاول الفصل بينهما كمحاول الفصل بين الفرقدين.

ومن شهد أن البربرية ما زالت قائمة الذات في بعض الجهات، فقد شهد للعربية بحسن الجوار، وشهد للإسلام بالعدل والإحسان، إذ لو كان الإسلام دين جبرية وتسلط لمحا البربرية في بعض قرن فإن تسامح ففي قرن.

إذا رضى البربري لنفسه الإسلام طوعًا بلا إكراه، ورضي للسانه العربية عفوًا بلا استكراه، فأضيعُ شيء ما تقول العواذل، واللغة البربرية إذا تنازلت عن موضعها من ألسنة ذويها للعربية لأنها لسان العلم وآلة المصلحة، فإن كل ما يزعمه المبطلون بعد ذلك فضول.[1]

[1] محمد البشير الابراهيمي : عيون البصائر ، السلسلة الثانية ، ص ص 221-223

إن العربي الفاتح لهذا الوطن جاء بالإسلام ومعه العدل، وجاء بالعربية ومعها العلم، فالعدل الذي هو الذي أخضع البربر للعرب، ولكنه خضوع الأخوة لاخضوع القوة، وتسليم الاحترام، لا تسليم الاجترام. والعلم هو الذي طوّع البربرية للعربية، ولكنه تطويع البهرج للجيدة، لا طاعة الأمَة للسيدة.

لتلك الروحانية في الإسلام، ولذلك الجمال في اللغة العربية، أصبح الإسلام في عهد قريب صبغة الوطن التي لا تنصُل ولا تحول. وأصبحت العربية عقليةً حرّة، ليس لها بهذا الوطن ضرّة.

ما هذه النغمة الناشزة التي تصك الأسماعَ حينًا بعد حين، والتي لا تظهر إلا في نوبات من جنون الاستعمار؟

ما هذه النغمة السمجة التي ارتفعت قبل سنين في راديو الجزائر بإذاعة الأغاني القبايلية. وإذاعة الأخبار باللسان القبايلي. ثم ارتفعت قبل أسابيع من قاعة المجلس الجزائري بلزوم مترجم للقبايلية في مقابلة مترجم للعربية؟

أكل هذا إنصاف للقبايلية، وإكرام لأهلها، واعتراف بحقها في الحياة، وبأصالتها في الوطن؟

كلا. إنه تدجيل سياسي على طائفة من هذه الأمّة، ومكر استعماري بطائفة أخرى، وتفرقة شنيعة بينهما، وسخرية عميقة بهما.

إن هاتين النغمتين وما جرى مجراهما هي حداء الاستعمار بالقوافل السائرة على غير هدى، لتزداد إمعانًا في الفيافي الطامسة، فحذار أن يطرب لها أحد. وإن النغمتين من آلة واحدة مشوّشة الدساتين، مضطربة الأوتار، ومغزاهما واحد، وهو إسكات نغمة أخرى تنطق بالحق وتقول: إن هذا الوطن العربي، فيجب أن تكون لغته العربية رسمية. فجاءت تلك النغمات الشاذّة ردًّا على هذه النغمة المطردة، ونقضًا لها وتشويشًا عليها، ولتُلقي في الأذهان أن هذا الوطن مجموع أجناس ولغات لا ترجحُ إحداهن أن تكون رسمية.

لا يوجد قبائلي يسكن الحواضر إلا وهو يفهم عن الفرنسية. ولا يوجد في «قبائل» القرى – وهم السواد الأعظم – إلا قليل ممن لا يحسن إلا القبايلية؛ ولكن ذلك السواد الأعظم ولا يمتلك جهاز راديو واحدًا لأنهم محرومون من النور الكهربائي كما هم محرومون من نور العلم، وكل ذلك من فضل الاستعمار عليهم. فما معنى التدجيل على القبائل بلغتهم؟

ولا يوجد عضو قبايلي في المجلس الجزائريّ إلا وهو يحسن الفرنسية، فما معنى اقتراح مترجم للقبايلية؟

أما نحن فقد فهمنا المعنى. وأما الحقيقة فهي أن الوطن العربي.

وأن القبائل مسلمون عرب، كتابهم القرآن يقرِؤونه بالعربية، ولا يرضَون بدينهم ولا بلغته بديلاً.
ولكن الظالمين لا يعقلون.

ذكرى 8 ماي

-2-

يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرّز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعرّ الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء؛ خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نوْر، وغبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير ولا تدوين.

يوم ليس بالغريب عن (رزمانة) الاستعمار الإفرنسي بهذا الوطن، فكم له من أيام مثله، ولكن الغريب فيه أن يُجعل – عن قصد – ختامًا لكتاب الحرب، ممن أنهكتهم الحرب على من قاسمهم لأواءها، وأعانهم على إحراز النصر فيها؛ ولو كان هذا اليوم في أوائل الحرب لوجدنا من يقول: إنه تجربة، كما يجرّب الجبان القوي سيفه في الضعيف الأعزل.

إثنان قد خلقا لمشأمة الاستعمار والحرب؛ ولحكمة ما كانا سليلي أبوّة، لا يتم أولهما إلا بثانيهما، ولا يكون ثانيهما إلا وسيلة لأوّلهما؛ وقد تلاقت يداهما الآثمتان في هذا اليوم في هذا الوطن، هذا مودع إلى ميعاد، فقعقعة السلاح تحيّته، وذلك مزمع أن يقيم إلى غير ميعاد، فجثث القتلى من هذه الأمّة ضحيته.

تستحسن العقول قتل القاتل، وتؤيّدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل؛ ولكن الاستعمار العاتي يتحدّى العقول لأنه عدوّها، والشرائع لأنها عدوّه، فلا يقوم إلا على قتل غير القاتل... ويغلو في التألّه الطاغي، فيتحدّى خالق العقول، ومنزل الشرائع، وينسخ حكم الله بحكمه، ورحمته الله بقسوته، فيقتل الشيوخ والزمنى والنساء والأطفال.

أين النعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟ كان للمنذر يومان: يوم بؤس ويوم نُعمى، وبينهما مجال واسع للبخت، وملعب فسيح للحظ، فإذا طار طائر النحس في أحد يوميه وقع على حائن أتت به رجلاه، أو محدود لم يلتقي مع السعد في طريق، أما الاستعمار فأيامه كلها نحسات، بل دهره، كله يوم نحسن مستمر، محيط الفواصل بين أيامه ولياليه، فكلّها سود حوالك، يطير طائر النحس منها فلا يقع إلا على أمم آمنة مطمئنة؛ وأين قتلى ضمختْ دماءها الغربين، من قتلى ضمخت دماؤها أديم الأرض، وخالطت البحار حتى ماء البحار أشكل.

أمة كالأمم حلّت بها ويلات الحرب كما حلّت بغيرها، وذاقت لباس الجوع والعري والخوف، وتحيّفت الحرب أقواتها وأموالها، وجرّعت الثكل أمهاتها واليتم أطفالها، وأكلت شبابها، وقطعت أسبابها، وصليت نار الحرب ولم تكن من جُناتها، وقدمت من ثمن النصر مئات الألوف من أبنائها

قاتلوا لغير غاية، وقتلوا من غير شرف؛ في حين كانت الأمم تقتتل على الملك، والملك مجد وسيادة،[1] وعلى الحرية، والحرية حياة وعزة؛ أما هذه الأمة فكانت تقاتل لخيال من أمل، وذَماء من حياة، وصبابة من رجاء، وخُلب من وعد علا نداؤه، وتجاوبت في الخافقين أصداؤه، من ديمقراطية زائفة كذب نبيّها مرتين في جيل واحد، فلما سكن الإعصار وتنفّست الأمم في جوّ من السلم، وتهيأت كل أمة أن تستقبل بقايا النار من شبابها، وكلّ أم أن تعانق وحيدها، عاودت الاستعمار ألوهيته وحيوانيته في لحظة واحدة، يحادّ الله بتلك، ويغتال عباده بهذه، وعاد بالتقتيل على من كانوا بالأمس يمدّون حياته بحياتهم، ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود، ويحدّثهم بلغة الدم ومنطق الأشلاء أنه إنما أقام سوق الحرب ليشتري حياته بموتهم، وليرمّم جداره بهدم ديارهم، فإذا بقي منهم كلب بالوصيد، أو من ديارهم قائم غير حصيد، قضى ذلك المنطق فيه بالإبادة والمحو، وجعل أيامه خاتمة لأيام الدم والحديد، وعطفه على عدوّ الأمس المشترك عطفًا بالفاء لا بثم؛ وكذلك كان، فقد فتح الناس أعينهم في يوم واحد على بشائر تدقّ بالنصر، وعلى عشائر من «المنتصرين» تُساق للنحر؛ وفتحوا آذانهم على مدافع للتبشير، وأخرى للتدمير؛ وعلى أخبار تؤذن بأن الدماء رقأت العالم كله، وأخرى تقول: إن الدماء أريقت في جزء صغير من العالم، هو تلك القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة. وفي لحظة واحدة تسامع العالم بأن الحرب انتهت مساء أمس ببرلين، وابتدأت صباح اليوم بالجزائر، وفيما بين خطرة البرق، بين الغرب والشرق، أعلنت حرب من طرف واحد، وانجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزّل الضعفاء، وإحراق قرى وتدمير مساكن، واستباحة حُرُمات ونهب أموال؛ وما تبع ذلك من تغريم وسجن واعتقال؛ ذلكم هو يوم 8 ماي.

ومن يكون البادئ يا ترى؟ آلضَّعيف الأعزل، أم القوي المسلّح؟

لك الويل أيها الاستعمار! أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأنجدك، واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجدك؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام، ويجوع أهله وأهلك بطان، ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شعاعا؟ أيشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله بعد أن شاركك في النصر لا في الغنيمة، ولعل فرحه بانتصارك مساو لفرحه بالسلامة، فيجد الأب قتيلا، والأم مجنونة من الفزع، والدار مهدومة أو محرقة والغلة متلفة، والعرض منتهكا والمال نهبا مقسما، والصغار هائمين في العراء؟

يا يوم! ... لله دماء بريئة أريقت فيك، ولله أعراض طاهرة انتهكت فيك، ولله أموال محترمة استبيحت فيك، ولله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك، ولله أيامى فقدن بعولتهن فيك، ثم كان من لئيم

[1] محمد البشير الابراهيمي : عيون البصائر ، السلسلة الثانية ، ص ص 369-372

المكر بهنّ أن منعن من الإرث والتزوج، ولله صبابة أموال أبقتها يد العائثين، وحبست فلم تقسم على الوارثين.

يا يوم!... لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى، والذكرى التي لا تنسى، فكن من أية سنة شئت، فأنت يوم 8 ماي وكفى. وكل ما لك علينا من دين أن نحيي ذكراك؛ وكل ما علينا لك من واجب أن ندون تاريخك في الطروس، لئلا يمسحه النسيان من النفوس.

فلسطين(1)

تصوير الفجيعة

يا فلسطين! إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية ، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية ، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددةٌهي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير؛ وفي عنق كل مسلم جزائري لك – يا فلسطين– حق واجب الأداء ، وذمام متأكد الرعاية، فإن فرَّط في جنبك، أو أضاع بعض حقِّك، فما الذنب ذنبه، وإنما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه، والمرء وداره، والمسلم وقبلته.

يا فلسطين! إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء والتراب، والمآرب التي يقضيها الشباب، فإن هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين، وأن فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وإنك كنت نهاية المرحلة الأرضية وبداية المرحلة السماوية، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعودا، وبعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطا، وإليك إليك ترامت همم الفاتحين، وترامت الأيُنُقالذلل بالفاتحين، تحمل الهدى والسلام وشرائع الإسلام، وتنقل النبوة العامة إلى أرض النبوات الخاصة، وثمار الوحي الجديد إلى منابت الوحي القديم، وتكشف عن الحقيقة التي كانت وقفت عند تبوك بقيادة محمد بن عبد الله، ثم وقفت عند مؤتة بقيادة زيد بن حارثة، فكانت الغزوتان تحويما من الإسلام عليك، وكانت الثالثة وردا، وكانت النتيجة أن الإسلام طهَّرك من رجس الرومان، كما طهَّر أطراف الجزيرة قبلك من رجس الأوثان.

داست حماكِ سنابكُ الخيول البابلية، وجاست خلال الديار، وسُبي بَنُوك (أسلاف الصهيونيين)، فلم ينتصر لك ولا لهم أحد، لولا أن منَّ عليهم الفاتحون المستعبدون، وإن المنَّ لأنكى على الحرِّ من الاسترقاق، ثم غزاك الرومان، وأذلوا بنيك واشتفَوْا منهم إثخانا في القتل وانتقاما – زعموا– من جريرة الصلب، وما ظلمت يا فلسطين، ولكن بنيك جروا عليك الجرائر، وما كنت لتفلتي من براثن الرومان لولا أن انتصف الله لك من عدوك بالإسلام والعرب، فنصروك وطهَّروك وبلُّوا الرحم الإبراهيمية بِبُلالها، ووفوا لأبناء العمومة بحق القربى والجوار، وأصبحت من ذلك الحين ملكا ثابتا للإسلام، وإرثا مستحقا من موسى لمحمد، ومن التوراة للقرآن ومن إسحاق لإسماعيل.

يا فلسطين! ملكك الإسلام بالسيف، ولكنه ما ساسك ولا ساس بَنِيك بالحيف، فما بال هذه الطائفة الصهيونية اليوم تنكر الحق، وتتجاهل الحقيقة، وتجحد الفضل، وتكفر النعمة، فتزاحم العربي الوارث باستحقاق عن موارد الرزق فيك ، ثم تغلو فتزعم أنه لا شِرْب له من ذلك المورد[1].

ما بال هذه الطائفة تدَّعي ما ليس لها بحق، وتطوي عشرات القرون لتصل-بسفاهتها - وعد موسى بوعد «بلفور» ، وإن بينهما لمدا وجزرا من الأحداث ، وجذبا ودفعا من الفاتحين.

ما بالها تدَّعي إرثا لم يدفع عنه أسلافها غارة بابل، ولا غزو الرومان، ولا عادية الصليبيين، وإنما يستحق التراث من دافع عنه وحامى دونه، وما دافع بابل إلا انحسار الموجة البابلية بعد أن بلغت مداها، وما دافع الرومان إلا عمر والعرب وأبطال اليرموك وأجنادين، وما دافع الصليب وحامليه إلا صلاح الدين وفوارس حطين.

إن العرب على الخصوص والمسلمين على العموم، حرروا فلسطين مرتين في التاريخ، ودفعوا عنها الغارات المجتاحة مرات، وانتظم ملكهم إياها ثلاثة عشر قرنا، وعاش فيها بنو إسرائيل تحت راية الإسلام وفي ظل حمايته آمنين على أرواحهم وأبدانهم وأعراضهم وأموالهم وعلى دينهم، ومن المحال أن يحيف المسلم الذي يؤمن بموسى على قوم موسى.

ما أشبه الصهيونيين بأوَّلهم في الاحتياط للحياة، أولئك لم يقنعوا بوعد الله، فقالوا:﴿يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾، وهؤلاء لم يثقوا بوعد بلفور حتى ضمنت لهم بريطانيا أن يكونوا في ظل حرابها، وتحت حماية مدافعها وقوانينها، وبكل ذلك استطاعوا أن يدخلوا مهاجرين ثم يصبحوا سادة مالكين، ودع عنك حديث الإرهاب فما هو إلاّ سراب.

ولو أنَّ السيوف الإنجليزية أُغمِدت، والذهب الصهيوني رجع إلى مكانه، وعُرضت القضية على مجلس عدل وعقل لا يَستهويه بريق الذهب، ولا يرهبه بريق السيوف، لقال القانون: إن ثلاثة عشر قرنا كافية للتملُّك بحق الحيازة، وقال الدين: إن أحق الناس بمدافن الأنبياء هم الذين يؤمنون بجميع الأنبياء، وقال التاريخ: إنَّ العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود، ولم يهدموا لهم فيها دولة قائمة، ولا ثلُّوالهم عرشا مرفوعا، وإنما انتزعوها من الرومان، فهم أحق بها من كل إنسان.

إن الصهيونية فيما بلونا من ظاهر أمرها وباطنه نظام يقوم على الحاخام والصيرفي والتاجر، ويتسلح بالتوراة والبنك والمصنع، وغايتها جمع طائفة قُدِّر لها أن تعيش أوزاعا بلا وازع، وقُدِّر لها أن تعيش بلا وطن-ولكن جميع الأوطان لها- فجاءت الصهيونية تحاول جمعها في وطن تسميه قولا فلسطين، ثم تفسره فعلا بجزيرة العرب كلها، فهو في حقيقته استعمار من طراز جديد في أسلوبه

[1] محمد البشير الابراهيمي : عيون البصائر ، السلسلة الثانية ، ص ص 491-495

ودواعيه وحججه وغاياته، يجتمع مع الاستعمار المعروف في أشياء ، وتُفَرِّق بينهما فوارق، منها أن الصهيونية تعتمد قبل كل شيء على الذهب، تشتري به الضمائر والأرض والسلاح ، وتشتري به السكوت والنطق، وتشتري به الحكومات والشعوب، تعتمد عليه وعلى الحيلة والمكر والتباكي والتصاغر في حينه، وعلى التنمر والإرهاب في فرصته.

إن فلسطين أرض عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب، وموطن عريق لسلائل من العرب استقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة، وسادت فيها العربية أكثر مما سادت العبرية، وما الانتداب الإنجليزي إلا باطل، ليس من مصلحة العرب ولا من مصلحة اليهود؛ وما الوطن القومي إلا خيال جسمته الأحلام الدينية والمطامع المادية، وما منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ولجنة التحقيق إلا تعلَّاتلا تُسكِت ولا تُسكِّن، وما استمرار الهجرة إلا مدٌّ للحمأة وتأريثٌللنار، ومن ضاقت به رحاب الدنيا لا تسعه فلسطين، ومن لفظته حواشي الأرض لا تستقر به فلسطين، أما حديث التشريد والمشردين من اليهود فهو مشترك إلزام في القضية، وما أكثر المشردين في الأمم الإسلامية، بل ما أكثر المشردين من العرب ، فإذا أخذنا الرحمة بالمشردين قاعدة كان أحق الناس بها مشردي العرب الذين لا يفصلهم عنها بحر ولا يقال في هجرتهم إليها إنها شرعية أو بدعية كما يقال في هجرة اليهود، وما ظلمت كلمة الشرع بأفحش من نسبة الحيل إليها عند بعض فقهائها، ومن نسبة الهجرة اليهودية إليها عند فقهاء الاستعمارnjkl;.

أيظن الظانون أن الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسى فلسطين، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسها، لا والله، ويأبى لها ذلك شرف الإسلام ومجد العروبة ووشائج القربى، ولكن الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته، وأبي حلها لمصلحته، وقايض بفلسطين لمصلحته ، هو الذي يباعد بين أجزاء الإسلام لئلا تلتئم ويقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم، وهيهات هيهات لما يروم.

إن بين دول الاستعمار علائق ماسة، وإنهن يتباعدن ما دام خيال الشرق وبَنِيه والإسلام وأممه بعيدا، فإذا لاح ذلك الخيال حنَّت من الاستعمار الدماء، وتعاطفت الأرحام، وتُنوسِيَت الأحقاد، فهلا فعلنا مثل ما فعلوا؟

أيها العرب! إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم وهممكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست حقوق العرب فيها تنال

بأنها حق في نفسها، وليست تنال بالهوينا والضعف، وليست تنال بالشعريات والخطابيات، وإنما تنال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة.

إن الصهيونية وأنصارها مصممون، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه، وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه.

وكـونوا حائطـًا لا صـدع فيـه وصفـًا لا يُـرقَّع بالـكُـسالـى.